سيرة
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

الإمام ابن رجب الحنبلي

تحقيق
عفت وصال حمزة

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض
الرقم العام ٥٤/الخاص ٨٦
١٣٧٢/٦/٢٤ هـ

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦

سيرة
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

مقدَّمة للسيد عبدالعزيز بن عبدالله المنيع الملحق الثقافي السعودي في دبي.

قبل أن أمسكَ القلمَ لأحقق هذه الرسالة، عن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز أراني مدفوعة لإعادة الفضل إلى أصحابه عرفاناً ووفاء.

فقد قدم لي سعادةُ الملحق الثقافي السعودي في دبي، كلَ عونٍ ممكن، وَمَدَّ يده للمساعدةِ مشكوراً، منذُ طلبتُ منه مصوراتٍ من أجلِ كتاب (امرأة في الصحراء العربية). ورغمَ أن دارَ النشرِ أهملتها، لكنَّ الجهدَ الذي قَدَّمَهُ سعادتُه، كان جهداً مشكوراً. وهو الذي أتحفني بمصورةٍ عن مخطوطةِ عبدالملكِ بن عمر بن عبدالعزيز؛ فله جزيل الشكر وجزاه عن الإسلام والعلم كلَّ خيرٍ.

عفت وصال حمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان لعمر بن عبدالعزيز أولاد كثيرون: ستُ بناتٍ واثنا عشر ذكراً (غير عبدالملك وأخٍ آخر له توفيا في حياة أبيهما عمر) ولذلك وُزِّعَ الإرثُ بعد وفاتِهِ رضي الله عنه على خمسةَ عشرَ سهماً، بعد الثُمن الذي تقاسمته الزوجات لكن الذي بَرَزَ من بينهم، وكان لوالده مستشاراً، ولتنفيذ أحكامِهِ مُعيناً وللدينِ والشرعِ موجهاً، وللآخرة مذكراً، هو عبدالملك بن عمر.

ولد سنة ٨٢ هـ ومات سنة ١٠١ هـ أي في السنة التي مات فيها أبوه وهو في التاسعةَ عشرةَ من عمرِهِ، وفي روايةٍ بعد التاسعةَ عشرةَ. مات شاباً في زهرةِ شبابِهِ، زهرةً نضرةً لم تعرف آثامَ الحياة وشرورَها، ماءً صافياً يتدفق حكمةً وزُهداً. فقد نهل الدينَ قويماً، والخلقَ صافياً، والشجاعةَ الأدبيةَ من

أبيه الخليفةِ الراشدِ عمر بن عبدالعزيز، وكان كما قال الشاعر:

ويَنْشَأُ ناشِىءُ الفِتْيانِ مِنّا
على ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

وهل هذا الشِبْلُ إلا من ذاكَ الأَسَدْ؟!.

نِعْمَ الفتى المكتهلُ الذي لم يعرفْ الحرامُ إلى نفسه سبيلاً، فكلُّ ما وَضَعَهُ نُصْبَ عينيه هو الدينُ الصافي والحقُ ولو على نفسهِ، وعلى من حوله. والشرعُ وتنفيذُ أحكامِهِ ولو غَلَتْ به القُدور. وجرأةٌ في الحقِ والعدْلِ لا نَظيرَ لَها. فهل يقلُّ عن أسامةَ بنِ زيدٍ - من قبلُ - الذي وَلاّهُ رسولُ اللَّهِ وهو فتى قيادَةَ جيشٍ يُعَدّ بِعَشَراتِ الآلاف؟ وهل يَقِلُّ عن محمدِ بنِ القاسمِ الثقفيّ - من بعدُ - حيثُ قادَ الجيوش وفَتَحَ الممالِكَ وهو فتىً؟؟.

لم يكن عبدُ الملكِ قائداً للجيشِ ولا فاتحاً، بل كان قائداً مع أبيه، لأمة انحرفت عن مبادىء الدين، في الوقت الذي كانت أحوج ما تكون لتتمسك به؛ فبلاد المسلمين ممتدةٌ من مشارِقِ الأرضِ لمغارِبِها وكلُّ تشويهٍ في الدينِ ولا سيما إذا صَدَرَ من قادةِ الأُمة - والناس على دين ملوكهم -

يعود على الأمةِ الإسلاميةِ بالخطر، ويتراجع بالإسلام والمسلمين درجات إلى الوراء. لم يكنْ عبدُالملك إذن فتى عادياً؛ كان عبقرياً متميزاً، لدرجة أنه كان لأبيه عوناً منذ تسلم أبوه إمارة المؤمنين، ولما يتجاوز السادسةَ عشْرَةَ وفي روايةٍ الرابعةَ عشرةَ. وأبوه لم يكن أباً عادياً؛ إنه الخليفةُ الراشدُ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ، أميرُ بلادٍ تمتدُّ من الهندِ شَرْقاً إلى المحيطِ الأطلسيّ غرباً، ومن حدود بلاد الروم شمالاً، إلى البحر العربي جنوباً. فالمسؤوليةُ كبيرةٌ والإنسان يبقى إنساناً يخطىء ويصيب، ويتحمل العبء وينوء به...

ورغمَ عظمة عمر وثقتِهِ بأن ما يفعلُهُ هو الحق، إلا أنه لم يكنْ ينفردُ برأيٍ أو يتسلطُ في حكم، أو يظلمُ في عملٍ، بل كان له مستشارون كثيرون؛ أقربهم إليه وألصقهم به ثلاثة هم: سهلُ بنُ عبدالعزيز أخوه، ومزاحم مولاه، وعبدالملك نجلُهُ - رغم حداثته -.

ولم تفصِّلْ كتبُ التاريخِ كثيراً عن الحياةِ القصيرةِ لهذا الفتى. لكننا نستنتجُ من أخباره أنه كان للقرآنِ حافِظاً، وفي الدينِ مُتَفَقِّهاً، وبتطبيقِ الشريعة متمسكاً. فقد روى ابن رجب - صاحب المخطوطة - من أخبارِهِ مجموعةً جيدةً يراها القارىء في هذه الرسالة.

وروى صاحب الحِلْية كذلك من أخبارِهِ ما يكاد يكون مطابقاً لما جاءَ به ابن رجب. وروى الإمام أحمد بن حنبل أخباراً تكاد تكـون مكررة لمـا جاء في الكتـابين السابقين، وذلك في كتابِ (الزُهْدِ).

يُفْهم من هذه الكتب، أن عبدالملك كان ابن ـ أم ولد ـ وأنه نشأة نشأةً دينيةً فتعمق في فـروعِ الدينِ والشـرعِ منذُ صِغَرِهِ. وقد أُعْجِبَ به أبوه أيَّما إعجابٍ فقد رأى فيه ملامحَ الذكاءِ وأشعَّةَ العَبْقَرية؛ مما جعله مختلفاً عن باقي إخوتِهِ. ورآه متمسكاً بأحكام الدينِ أكثرَ من أيِّ إنسانٍ آخر فقرر بينه وبين نفسه، أن يجعلَ منه رُكناً يستندُ إليه في ملماتِ الأمور، رغم صباه.

رحم الله الخليفة الراشد عمر. ورحم ابنَهُ عبدَالملك.
وجعلَ اللَّهُ الأبَ مثلاً أعلى لكلِ حاكمٍ
والابنَ مثـلاً أعلى لكل فتى نـاشىء

عفت وصال حمزة

التعريف بالمؤلف

ابن رجب الحنبلي(*)

٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ

اسمه:

عبدالرحمٰن بن أحمد الشيخ المقرىء المحدِّث شهاب الدين، ابن المحدث أبي أحمد رجب، ابن

(*) المراجع في معرفة سيرة ابن رجب:

١ ـ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢/٣٢١ ـ ٣٢٢.

٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٧٦ ـ ٧٧.

٣ ـ شذرات الذهب ج ٦/٣٣٩.

٤ ـ ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي.

٥ ـ فهرس الفهارس: الكتاني ٢/٦٠ ـ ٦١.

٦ ـ الشوكاني. البدر الطالع ١/٣٢٨.

٧ ـ كشف الظنون حاجي خليفة ٥٩، ٧٩، ٢٠٣، ٥٠٥، ٥٥٩، ١٠٩٧، ١٣٥٩، ١٤٠٠، ١٥٥٤، ١٩١١.

٨ ـ الأعلام للزركلي ج ٣/٢٩٥.

٩ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

الحسن بن محمد بن مسعود المعروف بأبي البركات. الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي.

أبوه:

الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد ابن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب.

لقبه وكنيته:

لقب بزين الدين وجمال الدين أبو الفرج، واشتهر باسم ابن رجب لقب جده.

منزلته:

جاء في شذرات الذهب للحنبلي ج ٦/٣٣٩: الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة، الثقة، الحجة. محدِّثٌ حافظ، فقيهٌ، أصوليٌّ، مؤرِّخٌ، شيخُ الحنابلة.

مولده:

ولد في بغداد سنة ٧٣٦ هـ وقد ذكرت أغلب المراجع هذا التاريخ إلا أن النعيمي في كتاب الدارس في تاريخ

المدارس ذكر أن مولده سنة ٧٠٦ هـ وكذلك في الدرر الكامنة ذكر ابن حجر العسقلاني التاريخ نفسه.

طفولته:

قدم مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمئة. أي أنه كان في السنة الثامنة من عمره.

واشتغل بسماع الحديث بعناية والده وتوجيهه. ووالده معروف بعلمه.

أساتذته:

أجاز له: ابن النقيب والإمام النووي. وسمع في دمشق: عن ابن الخباز وإبراهيم بن داود العطار، وأبي الحزم محمد بن القلانسي وسمع في مصر من صدرالدين أبي الفتح الميدومي، ومن جماعة من أصحاب ابن البخاري ومن خلق من رواة الآثار.

وسمع في مكة على الفخر عثمان بن يوسف.

أكثر ابن رجب من السماع باعتناء والده بأول الأمر وبجهده الخاص فيما بعد. وأكثر من الاشتغال في التأليف والتصنيف حتى مهر في ذلك. وأكثر ما برع فيه: فنون

الحديث: أسماء ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه.

مجالسه:

كانت مجالس تذكيره، للقلوب ضارعة، وللناس مبارك نافعة. اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه. وكان صاحبَ عبادة فخرج لنفسه بمشيخة مفيدة. وكُتب عنه الكثير مما قاله بطريقِ الوعظ وقرأ القرآن بالروايات المختلفة.

أخلاقه:

كان لا يَعْرِفُ شيئاً من أمور الناس، ولا تردد على أحد من ذوي الولايات. وكان يسكن بالمدرسة السُّكَّرِيّة بالقصاعين. نُقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره التيميون (جماعة ابن تيمية) فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء وكان قد ترك الإفتاء بآخرة[1].

أحد مواقفه:

في المواهب اللدنية: حكى الشيخ ولي الدين العراقي أن والده كان معادلاً[2] الشيخ زين الدين ابن رجب الدمشقي

---

(١) الكتاني فهرس الفهارس ج ٢/٦٣٧.
(٢) هنا بمعنى مرافقاً.

في التوجه إلى بلد الخليل. فلما دنا من البلد قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل؛ ليتحرز عن شد الرحال لزيارته على طريق ابن تيمية. قال: فقلت له: نويت زيارة قبر الخليل ثم قلت له: أما أنت فقد خالفت النبي ﷺ لأنه قال: «لا تُشَدُّ الرِحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد»، وقد شددْتَ الرحلَ إلى مسجدٍ رابع أما أنا فاتَّبَعْتُ النبي عليه السلام لأنه قال: «زوروا القبور». فقال: إلا قبورَ الأنبياء. فَبُهِتُّ.

وفي شذرات الذهب للحنبلي: أتقن الفن (أي فن الحديث) وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبُّعِ الطُرُقِ. وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق.

وفاته:

توفي رحمه الله ليلة الاثنين رابع شهر رمضان بأرض الخميرية، ببستان كان استأجره. وصلي عليه من الغد. ودفن بالباب الصغير، جوار قبر الشيخ أبي الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي. شرقي قبر معاوية رضي الله عنه، بينه وبينه مقدار عشرة أذرع. ووصفه جماعة من أشاعرة الشافعية بالعبد الصالح رحمه الله.

في شذرات الذهب لابن الحنبلي: قال ابن ناصرالدين:

ولقد حدثني من حضر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال له: احفر لي ها هنا لحداً، وأشار إلى البقعة التي دفن فيها. قال: فحفرتُ له فلما فرغ، نزل في القبر واضطجع فيه، فأعجبه، وقال: هذا جيد ثم خرج. قال: فوالله ما شعرتُ بَعْدَ أيام إلا وقد أُتي به ميتاً محمولاً في نعشه فوضعتُهُ في ذلكَ اللحدِ[1].

مؤلفاته:

١ ـ شرح الأحاديث:

شرح حديث «لبيك اللهم لبيك». وشرح حديث «بُعثت بالسيف بين يدي الساعة». وشرح حديث عمار بن ياسر: «اللهم بعلمك الغيب». وشرح حديث «اختصاص الملأ الأعلى». وشرح حديث «بدأ الإسلام غريباً». وشرح الأحاديث الخمسين التي عليها مدار الإسلام وغير ذلك[2].

٢ ـ بقية المصنفات:

١ ـ شرح الأربعين للنووي[3]: شرح الإمام الحافظ

---

(١) شذرات الذهب ج ٦/٣٣٣ - ٣٤٠، وانظر الدرر الكامنة ٢/٣٢١ - ٣٢٢.

(٢) فهرس الفهارس ج ٢/٦٣٦.

(٣) من كشف الظنون ١/٥٩.

زين الدين عبدالرحمٰن بن أحمد المعروف بابن رجب البغدادي الحنبلي المتوفى سنة خمس وتسعين وسبعمئة وهو شرح كبير سماه [جامع العلوم والحكم في شرح أربعين حديثاً من جوامع الكلم] أوله: «الحمد لله الذي أكمل لنا الدين..» إلخ.. قال: وقد جمع العلماء جموعاً من كلمات النبي ﷺ الجامعة كابن السني في الإيجاز. والقضاعي في الشهاب.

٢ ـ **فتح الباري** (شرح صحيح البخاري) مخطوط لم يتمه وصل فيه إلى كتاب الجنائز. قاله صاحب الجواهر (المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد) يريد الجامع الصحيح[١].

٣ ـ **لطائف المعارف**: في المواعظ أوله: الحمد لله الملك القهار العزيز الجبار.. سماه (لطائف المعارف فيما لمواسم العامِ من الوظائف) جعل الوظائف المتعلقة بالشهور مجالس مرتبة على ترتيب شهر السنة الهلالية: فابتدأ بالمحرم وختم بذي الحجة، وذكر في كل شهر ما فيه من الوظائف، وختم بمجلس في التوبة[٢].

---

(١) كشف الظنون ١/٥٥٠.

(٢) كشف الظنون ج ٢/١٥٥٤.

٤ ـ **طبقات الحنبلية**: هو كتاب للقاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين أبي يعلى الحنبلي الفراء الشهيد سنة ٥٢٦ هـ (صاحب المجرد في مناقب الإمام أحمد) وقد جعل هذه الطبقات على ست طبقات: الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة، وانتهى فيه إلى سنة ٥١٢ هـ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبدالرحمٰن بن أحمد المعروف بابن النقيب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ. وللشيخ زين أبي الفرج عبدالرحمٰن بن رجب إلى سنة ٧٥٠ هـ رتبه على ترتيب الوفيات[1] وهو الكتاب المسمى ذيل طبقات الحنبلية.

٥ ـ **الطبقات الكبرى في فروع الحنابلة** لنجم الدين سليمان بن عبدالقوي الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٠ هـ وله القواعد الصغرى وللشيخ زين الدين عبدالرحمٰن بن رجب بن عبدالرحمٰن بن أحمد البغدادي الحنبلي ٧٩٥ هـ وهو كتاب نافع من عجائب الدهر حتى أنه استُكثر عليه. وزعم بعضهم أنه وجد قواعد مبددة لشيخ الإسلام ابن تيمية. وليس الأمر كذلك بل كان رحمه الله فوق ذلك. هكذا قيل.

---

(١) كشف الظنون ٢/١٣٥٩.

٦ ـ **الجامع الصحيح للإمام الترمذي**: جاء في كشف الظنون: وشرح الحافظ زين الدين عبدالرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي المتوفى ٧٩٥ هـ[١].

٧ ـ **كتاب أهوال القبور**: أوله الحمد لله الذي أسكن عباده هذه الدار[٢]...

٨ ـ **مولدات ابن الحداد**: جعله مجالس فضائل الشهور أوله: الحمد لله منشىء أصناف القطر... إلخ[٣]...

٩ ـ **الاستغناء بالقرآن**.

١٠ ـ **فضائل الشام مخطوط**.

١١ ـ **الاستخراج لأحكام الخراج**.

١٢ ـ **القواعد الفقهية** (يعلق عليه صاحب شذرات الذهب): تدل على معرفة تامة بالمذهب.

١٣ ـ **الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس**.

١٤ ـ **كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة**.

---

(١) كشف الظنون.
(٢) كشف الظنون ٢/١٤٠٠.
(٣) كشف الظنون ٢/١٩١١.

١٥ ـ التوحيد (مخطوط).

١٦ ـ رسالة في معنى العلم (مخطوط).

١٧ ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.

١٨ ـ تقرير القواعد وتحرير الفوائد (في الفقه).

وصف المخطوطة

رسالةٌ صغيرة تتضمنُ أخبارَ عبدالملكِ بنِ عمر بن عبدالعزيز.

عدد صفحاتها ٣١ صفحة في كل صفحة عشرون سطراً. وفي كل سطر عشر كلماتٍ وسطياً. وفي ذيلِ كل صفحةٍ إشارَةٌ للكلمة التي تبدأ بها الصفحةُ التالية.

خطها مقروء ومنقوط وواضح تقريباً لولا بعض الكلمات التي قارنتها بمصادر أخرى لإيضاحِها. وقد ذكر الناسخ في أول المخطوطة اسم المؤلف فقال: هذه نبذة من كلام الشيخ العلامة والقدوة الفهامة عبدالرحمٰن بن رجب الحنبلي (رضي الله عنه) في مناقب عبدالملك ابن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي رضي الله عنهم.

وليس خط المخطوطة لابن رجب؛ استناداً للعبارة السابقة ومقارنة بخطه في مخطوطات أخرى.

كما أن الصفحةَ الأخيرةَ من المصورةِ تدلُّ على أن

للقصيدةِ المنسوبةِ لسابق البربري تتمة؛ حيث كتب في ذيل الصفحة كلمة (وَرُبَّ) التي ستبدأ بها الصفحة التاليـة لكن القصيدة لم تسجل على الصفحة التالية. وقد أكملتُهـا من كتاب سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي.

كانت الصفحات الأولى من المصورة وعددها ٢٣ عن حياة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز ثم أكملهـا بشيء من أخبار عمر بن عبدالعزيز وخطبه ورسائله.

والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل.

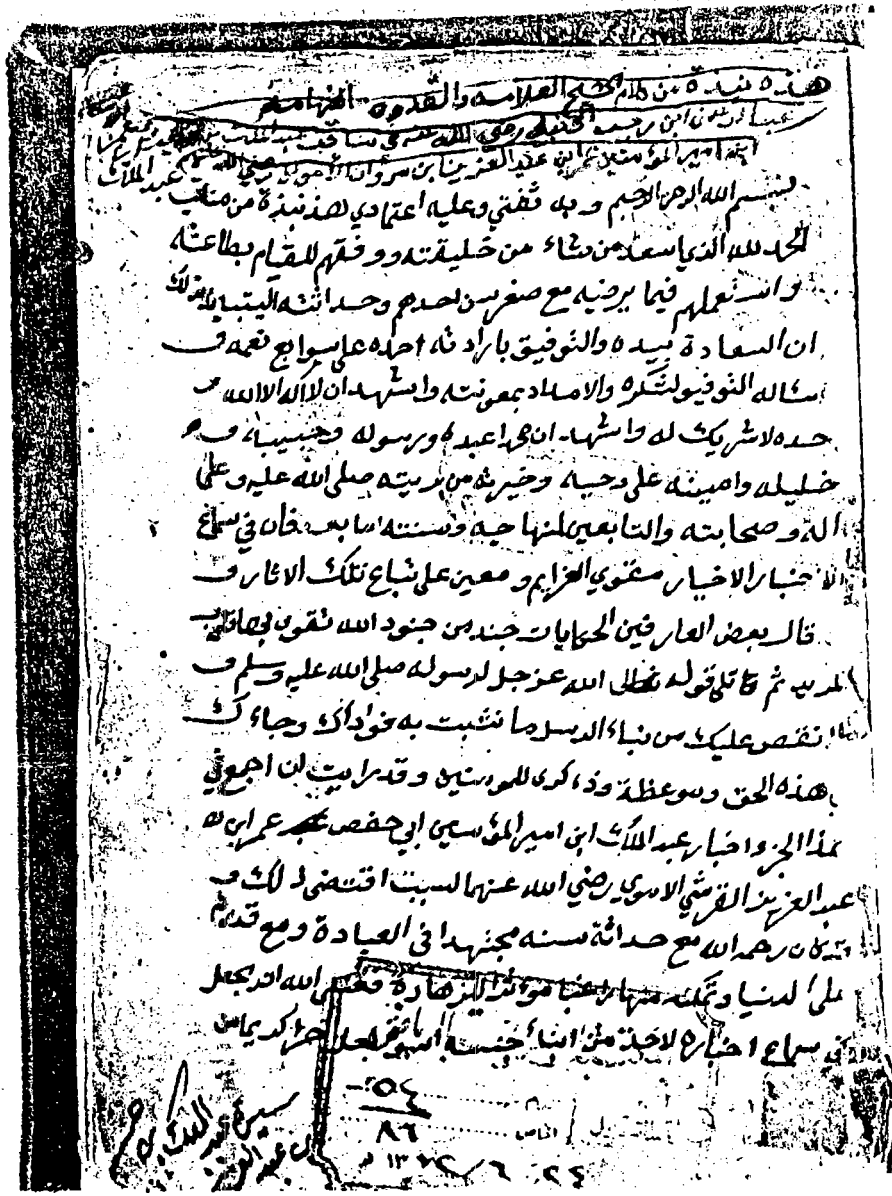

الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الذي انزلت من عنده السور ... والحمد لله اما بعد يا عمر

ان كنت تعلم ما نافي ويا لذة ... فلمن على حذر، قد ينفع الحذر

واعلم بان الفقر والفقه وراءهما ... وان اتاك بالا تنشهل به

فما صفى لامرء عيش يسر به ... الا واعقب يوما صفوه كدر

قد يرعوي المرء في ما بعد لهفوته ... وحلم الجاهل الايام والغير

ان التقي خير زاد انت حامله ... والبر افضل ما نافي وه ائتذر

من يطلب الحق لا يعلل بحاجته ... وطالب العدل لم يغدر به دلله

في الهدى غير نشفي القلوب بها ... كالغيث ينظر ان وسيمه اشتجر

وليس ذو العلم بالتقي كجاهلها ... ولا البصير كاعمى ماله بصر

لا تشبع النفس حتى حين تحرزه ... ولا يزال لها في غيره وطر

ولا تزال وان كانت لها سعة ... لها الى الشيء لم تظفر به نظر

والذكر فيه حياة للقلوب كما ... تحيى البلاد اذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما تجلى سواد الظلمة القمر

لا ينفع الذكر قلبا قاسيا ابدا ... وهل يلين لقول الواعظ الحجر

ما يلبث المرء ان يبلى اذا اختلفت ... عليه بعد الله وحادث الدهر

والمرء يصعد ريعان الشباب به ... وكل مصعد يوما سينحدر

بينا نرى الغصن لدنا في روضته ... نارا بانا صار حطاما جوفه نخر

وكل بيت خراب بعد جدته ... ومن وراء الشباب الموت والكبر

والموت جسر لمن يمشي على قدم ... الى الامور التي تخشى وتنتظر

فهم يمرون اليها ثم تجمعهم ... دار اليها يصير الله والخفر

لهم جميع اشتت الدهر شملهم ... وكل شمل جميع سوف يشتتر

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

سيرة
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

الإمام ابن رجب الحنبلي

تحقيق
عفت وصال حمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه نبذةٌ من كلام الشيخِ العلّامة والقُدْوَةِ الفهّامة عبدالرحمٰنِ بنِ رجبٍ الحنبليّ رضي الله عنه [مناقب عبدالملك بنِ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ عبدِالعزيزِ بنِ مروانَ الأموي] رضي الله عنهم

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه ثقتي وعليه اعتمادي.

هذه نبذة من مناقبِ عبدالملكِ بنِ عمر بنِ عبدالعزيز.

الحمد لله الذي أسعدَ من شاءَ من خليقَتِهِ، ووفقهم للقيامِ بطاعَتِهِ، واستعملهم فيما يرضيه؛ مع صغرِ سِنِّ أَحَدِهم وحداثتِهِ؛ ليتبينَ بذلك أن السعادةَ بيدِهِ والتوفيقَ بإرادتِهِ. أحمدُهُ على سوابغِ نعمهِ، وأسأله التوفيقَ لشكرِهِ، والإمدادَ بمعونته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وحبيبه، وخليله، وأمينه على وحيه، وخيرتُهُ من بَرِيَّتِهِ صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحابته، والتابعين لمنهاجِهِ وسُنَّتِهْ.

فإنّ في سماع أخبارِ الأخيارِ مقوّياً[1] للعزائمِ وَمُعيناً على اتّباعِ[2] تلك الآثار، وقال بعض العارفين: الحكايات

(١) في الأصل مقوي.
(٢) في الأصل معين.

جُنْدٌ من جنودِ الله؛ تقوى بها قلوبُ المريد. ثم تلا[1] قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقد رأيتُ أن أجمَع في هذا الجزءِ، أخبارَ عبدالملكِ ابن أميرِ المؤمنين أبي حفصٍ عمرَ[3] بنِ عبدِالعزيزِ القرشيِ الأموي رضي الله عنهما، لسبب اقتضى ذلك. لقد كان رحمه الله تعالى مع حداثةِ سنِّهِ، مجتهداً في العبادَةِ. ومع قدرَتِهِ على الدنيا وتمكنه منها، راغباً مُؤْثِراً للزَهادة؛ فعسى اللَّهُ أن يجعلَ في سماعِ أخبارِهِ لأحدٍ من أبناءِ جنسِهِ أسوَةً؛ لعل أحداً كريماً من/ أبناءِ الدنيا، تأخذُهُ بذلكَ حميَّةٌ [1] على نفسهِ ونَخْوة، مع أنَّه لن يخلوَ سماعُ أخبارِ الصالحين من تحصيلِ رقةٍ للقلوب وإزالةٍ للقسوة.

وأيضاً ففي ذكر مثل أخبارِ هذا السيدِ الجليلِ مع سِنِّهِ، توبيخٌ لمن جاوَزَ سنَّهُ وهو بَطّال[4]، ولمن كانَ بعيداً عن

(١) في الأصل تلى.
(٢) سورة هود: الآية ١٢٠.
(٣) في الأصل ابن.
(٤) كلمة دارجة بمعنى أنه سَيِّء.

أسبابِ الدنيا وهو إليها ميال. والله تعالى المسؤولُ أن يوفِّقَنا، وسائرَ إخوانِنا المؤمنين، لما وفق له عبادَهُ الصالحين وأن يعينَنا على ما أعانهم عليه بمنّه وكرمِهِ آمين.

وقد قسمتُهُ أحَدَ عَشَرَ باباً:

الباب الأول: في ذكرِ عبادتِهِ واجتهادِه وتهجده وبكائه وإخفائه لذلك.

الباب الثاني: في ذكرِ علمِهِ وفقهِهِ وفهمه.

الباب الثالث: في ذكر زهدِهِ في الدنيا وقناعتِهِ منها باليسير وبُعْدِهِ عن الإسراف.

الباب الرابع: في ذكرِ حلمِهِ، وكظمِهِ الغَيْظَ.

الباب الخامس: في ذكرِ كلامِهِ في قِصَرِ الأَمَلِ والمبادَرَةِ قبل هجومِ الموْتِ بالعَمَل.

الباب السادس: في ذكرِ صلابتِهِ في الدينِ، وقوّتِهِ في تنفيذِ الحق، واجتهادِهِ على الأَمْرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، ومواعظِهِ لأبيهِ.

الباب السابع: في ذكرِ هوانِ نفسِهِ عليه في ذاتِ اللَّهِ، ورضاه بكل ما ينالُهُ من الأذى في تنفيذِ أوامرِ الله.

الباب الثامن: في شِدَّةِ حَذَرِهِ من الـظلمِ وتنزُّهِـهِ من ذلك.

الباب التاسع: في ذكرِ مرضِهِ ووفاتِهِ.

الباب العاشر: في ذكر سنّه ومقدارِ علْمِهِ.

الباب الحادي عشر: في ثناءِ العلمـاءِ عليه من أهـلِ زمانِهِ ومدحِهِمْ لَهُ.

الباب الأول

في ذكر عبادتِهِ/ واجتهادِهِ وتهجُّدِهِ وبكائِهِ وإخفائِهِ لذلك [٢]

روى الحافظ أبو نعيم[١] في كتابِ [حلية الأولياء] بإسناده عن بعضِ مَشْيَخَةِ أهلِ الشام قال: كنا نرى أن عمرَ بنَ عبدِالعزيز إنما أَدْخَلَهُ في العبادةِ ما رأى من ابنِهِ عبدِالملكِ رحمهُ الله[٢].

---

(١) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء كان من الأعلام المحدثين ومن أكابر الحفاظ الثقات أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به وكتاب الحلية من أحسن الكتب. وله كتاب تاريخ أصبهان. ولد في رجب سنة ٣٣٦ وتوفي في صفر عام ٤٣٠ وفيات الأعيان ج ١، ص ٩١ و ٩٢.

(٢) في تاريخ ابن عساكر ج ١٥، ص ١٩٩ أن أم عبدالملك أم ولد. وكان رجلاً صالحاً يعين أباه على رد المظالم ويحثه على ذلك مات في حياة أبيه.

وروى الإمام أبو عبيد القاسمُ بنُ سلامٍ[1] في كتاب (فضائل القرآن) بإسنادِهِ عن عاصم بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن مروان وهو ابنُ أخي عمر بنِ عبدِالعزيز قال: وفدتُ إلى سليمانَ بنِ عبدِالملك ومعنا عمرُ بنُ عبدِالعزيز؛ فنزلتُ على ابنِهِ عبدِالملك[2]، وهو عزب، فكنتُ معه في بيتٍ فصَلَّيْنا العِشاءَ، وأوى كلُ رجلٍ منا إلى فراشِهِ. ثم قام عبدُالملك إلى المصباحِ فأطفأَهُ، ثم قامَ يصلّي، حتى ذهبَ بي النوم، فاستيقظتُ[3] فإذا هو في هذه الآية ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

---

(١) ١٥٧ - ٢٤٤ = ٧٧٤ - ٨٣٧ م القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي أبو عبيد، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة ولد وتعلم بها وكان مؤدباً، ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ وإلى بغداد فسمع الناس من كتبه وحج فتوفي بمكة. وكان منقطعاً للأمير عبدالله بن طاهر، كلما ألف كتاباً أهداه إليه وأجرى له عشرة آلاف درهم. قال الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه، وهي كثيرة أهمها (الغريب المصنف) ط مجلدان في غريب الحديث ألفه في نحو أربعين سنة. الأعلام ج ٥/١٧٦.

(٢) وهو ابن عمه أي أنَّ عبدالملك ابن عم عاصم هذا.

(٣) في الأصل استيقضت.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾[1] الآية فيبكي، ثم يرجِعُ إليها، فإذا فَرَغَ منها فعل مثل ذلك، حتى قلتُ سيقتُلُهُ البُكاءُ فلما رَأَيْتُ ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقِظِ من النَوْمِ لأُقْطَعَ ذلك عليه. فلما سمعني سَكَتَ فلم أسمعْ له حِساً رحمه الله تعالى.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٠٥ و ٢٠٦.

الباب الثاني
في ذكر علمِهِ وفقهِهِ وفهمِهِ

روى ابن أبي خيثمة[1] في تاريخه، عن سليمان بن يسار[2] قال: ركبْت أنا وعمر بن عبدالعزيز ومعَنَا عبدُالملك

---

(١) أحمد بن زهير (أبي خيثمة) بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي، أبو بكر: مؤرخ من حفاظ الحديث، كان ثقة، راوية للأدب، بصيراً بأيام الناس، له مذهب. ونسب إلى القول بالقدر. أصله من نَسا بفتح النون والسين المخففة. ومولده ووفاته ببغداد. من تصنيفه (التاريخ الكبير) خ كما في تذكرة النوادر، ومنه الجزء الخمسون مخروم الآخر، في المحمودية بالمدينة (٢٦ أصول الحديث) ورأيت كراساً منه مكتوباً على الرق هو الكراس الثاني من الجزء الثاني، وفيه تراجم بعض الكوفيين، في خزانة الرباط الرقم (٢٦٧١ كتاني) وبلغني أن منه مجلداً في خزانة القرويين بفاس. قال الدارقطني لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه.
١٨٥ - ٢٧٩ هـ = ٨٠١ - ٨٩٢ م.
الأعلام ج ١، ص ١٢٨.

(٢) سليمان بن يسار:
٣٤ - ١٠٧ هـ = ٦٥٤ - ٧٢٥ م.
سليمان بن يسار، أبو أيوب مولى ميمونة أم المؤمنين: أحد الفقهاء =

فقال عبدُ الملك بن عمر: أرأيتَ المرأةَ تُطَلَّقُ ثم تحيضُ الثالثةَ[1]؟ فقلت: قد حَلَّتْ. فقال عبدالملك: فأين ما يُذكر عن ابن عباس[2]؟ فقال: ذرنا منك بحديث عن زيد بن ثابت[3]/ ومعاوية ابن أبي سفيان. ومعنى هذه المسألة أنّ [٣] الأقراء الثلاثة التي تعتد بها المطلقة ـ إذا طلقت في أثناء

= السبعة بالمدينة، كان سعيد بن المسيب إذا أتاه مُسْتَفْتٍ (طالب فتوى) يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم.
ولد في خلافة عثمان وكان أبوه فارسياً، قال ابن سعد في وصفه: ثقة عالم فقيه كثير الحديث. الأعلام ج ٣، ص ١٣٨.
وفي تقريب التهذيب ج ١، ص ٣٣١: سليمان بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة. من كبار الثالثة مات بعد المئة وقيل قبلها.

(١) أي تحيض للمرة الثالثة.

(٢) أي عبدالله بن عباس.

(٣) زيد بن ثابت: الأنصاري الخزرجي صحابي كان كاتب الوحي. ولد بالمدينة قبل الهجرة بأحد عشر عاماً ونشأ بمكة وقتل أبوه وهو ابن ست سنين هاجر مع النبي وهو ابن ١١ سنة. تعلم الفقه والدين فكان رأساً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته ـ على جلالة قدره وسعة علمه ـ وهو أحد الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول وهو الذي كتبه لأبي بكر. لما مات قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، الأعلام ج ٣/٥٧.

طهرها ثم حاضت حيضتين وطهرت طهرين ثم شرعت في الحيضة الثالثة ـ أنها تنقضي لمضي الأطهار الثلاثة عليها بذلك. وهي قول زيد بن ثابت، وغيره من الصحابة. فعارضه عبدالملك بقول ابن عباس: إن الأقراء هي الحيض فلا تنقضي عدتُها حتى تطهر من الحيض الثالث.

وأكثر علماء الحجاز ما أفتى به سليمان بن يسار؛ فإن الأقراء هي الأطهار وهو قول مالكٍ والشافعي. وأكثرُ علماءِ العراقِ على أن الأقراءَ هي الحيضُ وهو قولُ أبي حنيفة والمشهورُ عن الإمام أحمد. واختلفوا بانقضاءِ عُدَّتِها بانقطاعِ الدمِ من الحيضةِ الثالثة، أم لا تنقضي عُدَّتُها، حتى تَغْتَسِلَ، على قولين مشهورين[1].

روى الدورقي[2] في كتاب مناقب عمر بن عبدالعزيز

---

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الطلاق من ص ٢٧٨ ـ وما بعدها.

(٢) الدورقي: يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي، أبو يوسف الدورقي محدث العراق في عصره، كان ثقة حافظاً متقناً، أخذ عن الأئمة الستة. له مسند في الحديث. والدورقي نسبة إلى لبس (الدورقية) وهي قلانس طوال، كان يلبسها المتنسكون في ذلك الزمان، ثم أطلق لفظ الدورقي على كل متنسك ١٦٦ ـ ٢٥٢ هـ = ٧٨٢ ـ ٨٦٦ م، الأعلام ج ٨/١٩٤. وفي التقريب =

بإسناده عن حفص بن عمر[1]: أن عمر بن عبدالعزيز جمع الناس واستشارهم في رد مظالمِ الحَجّاجِ.

فكان كلما استشارَ رجُلاً قال له: يا أميرَ المؤمنين ذاكَ أمرٌ كانَ في غيرِ سلطانِكَ ولا وِلايَتكَ. فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه[2]، حتى خلص[3] بابنه عبدالملك، فقال له ابنه عبدالملك: يا أَبَهْ ما من رجلٍ استطاعَ أن يردَّ مظالمَ الحجاج إن لم يردها أن يشركهُ فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت إنك أفقهُ الناس. وهذا الذي قاله عبدُالملك، ومدحه عليه أبوه، هو الصواب فإن الإمام إذا قدر على ردِ مظالمِ من قَبْلَهُ من الولاة، وجب عليه هو ذلك بحسب/ [٤] الاستطاعة.

وعلماءُ السَلَفِ كانوا يقسمون العلماءَ ثلاثةَ أقسامٍ: قسم يَعْرِفون الله ويخشَوْنه ويحبونه ويتوكلون عليه؛ وهم العلماء بالله.

= ج ٢، ص ٣٧٤: أنه ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وخمسين وله ست وتسعون سنة. وكان من الحفاظ.

(١) هو حفص بن عمر بن عبدالعزيز.

(٢) أوقفه.

(٣) حتى انتهى إلى ولده عبدالملك.

وقسمٌ يَعْرِفون أمرَ اللَّهِ ونهيَه وحلالَه وحَرَامَهُ؛ وهم العلماءُ بأمرِ الله.

وقسمٌ يجمعون بين الأمرين؛ وهم أشرفُ العلماءِ حيث جَمَعوا بين العِلْمِ باللَّهِ والعلم بأمر الله. وكان عمر بن عبدالعزيز وابنُهُ عبدُالملك من هذا القسم. وكذلك أكثرُ السَلَفِ - رضي الله عنهم - يجمعون بين العِلْمِ بالله الذي يقتضي خشيتَهُ ومحبَّتَهُ والتبتُّلَ[1] إليه، وبين العلمِ بالله الذي يقتضي، معرِفَةَ الحلالِ والحرامِ والفتاوى والأحكام. ومنهم من كان متوسعاً في كلا العلمين كالحسن البصري[2]،

---

(١) التبتل: الإخلاص لله تعالى في العبادة.

(٢) الحسن البصري: ٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م: الحسنُ بنُ يسارٍ البصري أبو سعيد: تابعي. كان إمامَ أهلِ البصرةِ، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاءِ الفصحاءِ الشجعان النساك. ولد بالمدينة وشَبَّ في كنفِ علي بن أبي طالب، واستكتبهُ الربيعُ بنُ زيادٍ، والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوبِ؛ فكان يدخل على الولاةِ فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقِ لَوْمَةَ لائم. قال الغزالي: كان الحسنُ البصريُّ أشبهَ كلاماً بكلامِ الأنبياء، وأقربَهم هدياً من الصحابة. وله مع الحجاجِ بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. عن الأعلام ج ٢، ص ٢٢٦.

وسفيان[1]، وأحمد بن حنبل[2]. ومنهم من كان نصيبُهُ من أحدهما أوفَرَ من نصيبِهِ من الآخر، وأما المتأخِرون؛ فقلَّ فيهم من جمع بين العلمين اللذين كان عليهما علماءُ المسلمين[3]، وسلك كلا الطريقين. والله الموفق للخير والمعينُ عليه بمنِّهِ وكرمِهِ.

---

(١) ١٠٧ - ١٩٨ هـ = ٧٢٥ - ٨١٤ م سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي. من الموالي، ولد بالكوفة وسكنَ مكة. وتوفي بها، كان حافظاً ثقةَ واسعَ العلمِ، كبيرَ القدر. قال الشافعي: لولا مالكُ وسفيانُ لذهبَ علمُ الحجاز. الأعلام ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) ١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥ م الإمام أحمد بن حنبل وهو غني عن التعريف: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. ولد في بغداد فنشأ منكباً على العلم وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة. صنف المسند وهو ستةُ مجلداتٍ وغيره كثير. عن الأعلام ج ١/٢٠٣.

(٣) في الأصل الذي كان عليه علماء المسلمين. وكلمة علماء بدون همزة في الأصل كذلك.

الباب الثالث

في ذكرِ زهدِهِ في الدُنيا وقناعَتِهِ باليسيرِ وبُعْدِهِ عن الإسراف

روى ابنُ المبارك[1] في كتاب الزهد له بإسناده عن ميمون بن مهران[2] قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز إما

---

(١) ابن المبارك: ١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧ م: هو عبدالله بنُ المبارك بن واضح، الحنظلي بالولاء، التميمي المروزي، أبو عبدالرحمٰن الحافظ، شيخ الإسلام المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيامَ الناسِ والشجاعَةَ والسخاء. كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفاً من غزو الروم له كتاب في الجهاد وهو أول من صنف فيه. و(الرقائق) مخطوط في مجلد. الأعلام ج ٤، ص ١١٥.

(٢) ٣٧ - ١١٧ هـ = ٦٥٧ - ٧٣٥ م: ميمون بن مهران الرّقيّ، أبو أيوب: فقيه من القضاة كان مولى لامرأة بالكوفة. وأعتقته. فنشأ فيها. ثم استوطن الرقة (من بلاد الجزيرة الفراتية) فكان عالِمَ الجزيرةِ، وسيدَها. استعمله عمر بن عبدالعزيز على خراجِها =

دخلت/ على عبدالملك يعني ابنه[1]. قال: فأتيت الباب [٥] فإذا وصيف فقلت: استأذنْ لي عليه فقال: ادخل فإن عنده الناس، أَوَ أمير هو[2]؟ فدخلت عليه فقال: من أنت؟ فعرف[3]. ثم حضر طعامُهُ فأُتي بقَلْيَةْ مدنية[4] وهي عظام اللحم. ثم أتي بثرة[5] قد ملئت خبزاً وشحماً، ثم أتي بزبد وتمر. فقلت: لو كلمتَ أمير المؤمنين يخصُّكَ منه بخاصةٍ[6] فقال: إني لأرجو أنه يكون أوفى حظاً عند الله من ذلك. إنّي في ألفين كان سليمان ألحقني فيهما، والله لو كان أبي في نفسه لما فعل[7]، ولي غلة[8] بالطائف إن سلمت لي أتاني

= وقضائها. وكان على مقدمةِ الجندِ الشامي، مع معاوية بن هشام بن عبدالملك، كما عبر البحر غازياً إلى قبرص سنة ١٠٨ هـ. وكان ثقةً في الحديث كثيرَ العبادةِ. وفي هامش الأعلام أنه كان مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز. الأعلام ج ٣٤٢/٧.

(١) في رواية أخرى أنه طلب من ميمون أن يختبر أخلاق عبدالملك.

(٢) أو أمير هو؟ استفهام يعني الإنكار: أي هل هو أمير حتى أستأذن لك عنده؟ إنه ليس كذلك.

(٣) أي فعرفني.

(٤) كذلك رويت القصة في ابن عساكر ولعلها أكلة مدنية.

(٥) في ابن عساكر ثريدة.

(٦) أي أن يخصك من عنده بشيء ما.

(٧) في تاريخ ابن عساكر: والله لو كان إلى أبي في نفسي ما فعل.

(٨) في الأصل غلت.

غلةً ألفُ درهم، فما أصنع بأكثر من ذلك. فقلت في نفسي: أنتَ لأبيك.

وقد رُوِيَتْ هذه القصة من وجهٍ آخر: وأن ميمون بن مهران قال: دخلت على عبدِالملكِ وبين يديه قليلٌ من طعامٍ فما منعني من الأكلِ معه إلا الأبق[1] عليه.

وروى الدورقي بإسناده عن ميمون بن مهران قال: قال عمر بن عبدالعزيز: ابني عبدالملك قد أُعْجِبْتُ به فما أدري أهو كذلك؟ أم حبُّ الوالدِ للولدِ فأنا أحبُّ أن تأتيَهُ فتسبِرَ[2] ما عنده فإن كان على ما ظننتُ أخبرتَني فحمدتُ الله عليه، وإن كان غيرَ ذلك أَدَّبْتَهُ فإنما هو ابنُ أخيك.

قال ميمون بن مهران: فانتهيتُ إليه فاستأذَنْتُ فدخَلْتُ عليه، وإذا تحته مِسْحٌ خلق[3] وشاذكونة[4] خلقة ومرفقة[5]

---

(١) الأبق: التمرد. ويستعمل خاصة في هرب العبد من عند سيده. والقصد هنا المخالفة.

(٢) بمعنى تمتحن أخلاقه.

(٣) المِسْح ثوب من الشعر الغليظ. وثوب خَلَقٌ: أي بالٍ.

(٤) الشاذكونة: الفراش الذي ينام عليه أو ثياب غلاظٌ تُعمل باليمن. محيط المحيط (مادة شذك).

(٥) المِرفقة: بالكسر المخدة.

قد ترفق بها فَوَسَّعَ لي/ لأجلس معه فجلست مقابله فقلت: [٦]
ما ها هنا أحبُّ إلي، وإذا بين يديه مائِدةٌ عليها ثلاثةُ أرغفةٍ وقصعة فيها خَلٌّ وزيتٌ. فقلت: هذا طعامُك في كلِ يوم؟ فقال: إن أميرَ المؤمنين صَيَّرَ الدهر أثلاثاً: فيومٌ خبزٌ ولحم، ويومٌ لبن، ويومٌ خبزٌ وزيت. فبينا أنا كذلك إذ جاء غلام له فقال: فَرَّغناها، فأعرض عنه فعاود فقلت: ما هذا الذي فرغ؟ قال: الحمام. قلت: هل الحَمّامُ لك؟ قال: لا، قلت: فلأحد من إخوانك؟ قال: لا، قلت: فلأحدٍ من أهل بيتك؟ قال: لا، قلت: فلأمير المؤمنين؟ قال: لا، قلت: فيم[١] استحلَلْتَ أن تفرّغَ حمامَ المسلمين فَلَعَلَّ إذا رجل يجيءُ[٢] من أقصى المدينةِ فيحالُ بينه وبين الحمام. أو تعطيه بقدر ما تشغلُ حمّامَه؛ فهذه نفقةٌ باطلة[٣]، هذا أريد أن أُنْهِيَهُ[٤] إلى أميرِ المؤمنين قال: أو تسترُ علي يا عَمُّ واللَّهِ ما يسرني، أنه وَجَدَ عليَّ ساعة من نهار، ثم أتاني عنه الرضا[٥]، ولا أنَّ لي الدنيا وما فيها، ولك علي ألا أدخل

(١) في الأصل فيما.
(٢) في الأصل يجي.
(٣) في الأصل باطل.
(٤) أنهيه: أي أعلمه.
(٥) المعنى أنه يفضل رضا أبيه عن كل شيء في الدنيا.

الحمّام إلا ليلاً ومع ضعفةِ[1] الناسِ قال: قلت له: افعل. فخرجت من عنده فما رأيت أفضل من عمر بن عبدالعزيز ولا ابناً أفضل من عبدالملك رضي الله عنهما.

[٧] وقد رويت/ هذه القصة من وجه آخر وفيه: أن عبدالملك قال: لولا برد بلادنا ما دخلته (يعني الحمام) ليلاً ولا نهاراً.

وأنه كان امتناعه من دخوله مع الناس، خشية أن يرى فيه منكراً، فيؤدبَ فاعله فربما خشي أن يجاوز حَدَّ الأدبِ، أو أن يُنْسَبَ إلى شيءٍ من الظلم في ذلك. وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

هذا مع أن طائفة من أعيان العلماء رأوا إخلاء الحمام وزيادَةَ صاحِبِهِ كذلك؛ لما في مثل ذلك من السلامةِ من رؤيةِ المنكراتِ مثلِ كشفِ العورةِ وغيرها[2]. وممن رأى ذلك

---

(١) أي قلة الناس وضعافهم.
(٢) أي زيادة أجرة الحمام لصاحبه.

عـروة بن الزبيـر[1] وأبو جعفـر بن علي البـ ـر[2] وسفيـان الثـوري[3] رحمهـم الله.

وأما ميمون بن مهران فقد كرِهَ ذلك؛ وعَلَّلَ بأنه قد يأتي الـرجلُ الضعيفُ من مكـان بعيدٍ فيمتنـعُ من دخولـه حينئذ لإخلائه، وعَلَّلَهُ أيضاً في رواية أخـرى بأن هـذه نفقةُ كِبْـرٍ وسَرَفٍ، ولكن؛ هذا إذا كان المقصودُ بإخلائه مجرد التكبـرِ والتعاظُمِ دونَ السلامةِ من رؤيةِ المنْكَراتِ واللَّهُ أعلم.

---

(١) عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبدالله المدني. ثقة مشهور فقيه، من الثانية، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده أوائل خلافة عمر الفاروق. تقريب التهذيب ج ٢/١٩.

(٢) أبـو جعفر بن علي البـاقـر: هـو محمـد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر ثقة فاضل، من الرابعة مات سنة بضع عشرة ومئة. تقريب ج ٢، ص ١٩٢.

(٣) سفيان الثوري: ٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م: ابن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبدمناة. من مضر، أبو عبدالله، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فـأبى وخرج من الكـوفة سنـة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها متخفياً. من كتبه الجامع الكبير والجامع الصغير في الحديث... الأعلام ج ٣، ص ١٠٤.

الباب الرابع

في ذكرِ حلمه وكَظْمِهِ الغَيْظَ

روى ابن أبي الدنيا[1] في كتابِ (العَفْوُ وَذَمُّ الغضب) من حديث يعقوب بن عبدالرحمٰن عن أبيه قال: أمر عمر بن عبدالعزيز غلامَهُ بأمرٍ، فغضب عمر، فقال له عبدالملك: يا [٨] أبتاه، وما هذا الغضبُ/ والاختلاط[2]؟! فقال عمر: إنك

---

(١) ابن أبي الدنيا: ٢٠٨ - ٢٨١ هـ = ٨٢٣ - ٨٩٤ م: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم البغدادي أبو بكر، حافظ للحديث مكثر من التصنيف، أدب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته ثم أدب ابنه المكتفي. له مصنفات اطلع الذهبي على ٢٠ كتاباً منها ثم ذكر أسماءها فبلغت ١٦٤ كتاباً، منها: (الفرج بعد الشدة ط) و(مكارم الأخلاق) و(ذم الملاهي) وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طباع الناس؛ إن شاء أضحك جليسه وإن شاء أبكاه. مولده ووفاته ببغداد. الأعلام ج ١١٨/٤.

(٢) في ابن عساكر: ما هذا الغضب والاختلاط. وفي ابن عساكر التحكم والحكم والصحيح باللام لا بالكاف وذلك خطأ.

لَتَتَحَلَّمُ يا عبدَالملك؟ فقال له عبدُالملك: لا واللَّهِ ما هو التحلُّم ولكنه الحِلْم.

قال: وقال عمر بن عبدالعزيز لولا أن أكونَ زُيِّنَ لي من أمر عبدالملك، ما يزين في عين الوالد من ولده، لرأيتُ أَنَّهُ أَهْلٌ للخلافة.

ومراد عبدالملك رحمه الله: أنَّ الحِلْمَ عنده صفةٌ لازمةٌ له، وهو مجبولٌ عليها، ولا يحتاجُ أن يتعاطاهُ ويتكلَّفَهُ تكلُّفاً من غير أن يكون عنده حقيقة.

وروى الدَوْرَقي هذه القصةَ في كتابه. وعنده أن عبدالملك قال لأبيه لا والذي أكرمك بما أكرمَكَ به. إن[1] ملأني غَضَبٌ قَط والمعنى: ما ملأني الغضب قط.

وروى أبو نعيم في الحليةِ بإسنادهِ عن إسماعيل بن أبي الحكم قال: غضب عمر بن عبدالعزيز يوماً فاشتد غَضَبُهُ وكان فيه حِدَّةٌ، وعبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز حاضرٌ. فلما سكن غَضَبُهُ قال: يا أمير المؤمنين، أنت في قَدْرِ نعمةِ الله عليك. (فهو موضِعُكَ الذي وضَعَكَ الله به! وما

---

[1] إن النافية: أي ما ملأني غضب قط.

ولّاك من أمرِ عبادِهِ يبلغ بك الغضب ما أرى؟! قال: كيف قلت؟ قال فأعادَ عليه كلامَه؛ فقال له عمر: أما تغضب يا عبدالملك؟ قال: ما تُغْني سَعَةُ جَوْفي[1] إن لم أردَّ[2] فيه/ [٩] الغَضَبَ حتى لا يظهرَ منه شيءٌ أكرهُهُ. قال وكان له بُطَيْن[3] رحمه الله تعالى.

(١) أي ما فائدة سعة بطني.
(٢) في رواية أخرى: لم أَرُدَّ فيه الغضب.
(٣) بطن صغير.

الباب الخامس

في ذكرِ كلامه في قِصَرِ الأَمَلِ والمبادرةِ قبل هجومِ الموتِ بالعملِ

روى أبو بكر الآجري[1] في كتابِ [فضائل عمر بن عبدالعزيز]:

لما دَفنَ سليمان بن بن عبدالملك؛ خطبَ الناس ونزل، ثم ذهب يتبوَّأ مقيلاً فأتاهُ ابنُهُ عبدُالملك فقال: يا أمير المؤمنين، من لك أنْ تعيشَ إلى الظهر قال: ادنْ مني أي بني، فدنا منه والتزمه وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صُلْبي من يعينُني على ديني. فخرج فلم يُقِلْ[2]،

(١) الآجري: بـ ٣٦٠ = ... ٩٧٠ م: محمد بن الحسين بن عبدالله أبو بكر الآجري. فقيه شافعي محدث نسبته إلى آجر من قرى بغداد ولد فيها وحدث فيها قبل سنة ٣٣٠ هـ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها. له تصانيف كثيرة منها: الغرباء ـ أخبار عمر بن عبدالعزيز ـ أخلاق حملة القرآن ـ وأخلاق العلماء وغيرها كثير. الأعلام ج ٦، ص ٩٧.

(٢) لم يُقِلْ: لم ينم للقيلولة.

وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كان له مَظْلَمَةٌ فليرفَعْها[1].

وروى الحافظ أبو نعيم، بإسناده عن إبراهيم بن أبي عبلة[2]، قال: جلس عمر بن عبدالعزيز يوماً للناسِ فلما انتصَفَ النهارُ ضَجِرَ وَكَلَّ ومَلَّ فقال للناس شأنكم، حتى انصرِفَ إليكم، فدخل يستريحُ ساعةً فجاءَ ابنُهُ عبدُالملك، فسأل عنه قالوا: دخل. فاستأذَنَ عليه؛ فأذن له. فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين، ما أدخلك؟ قال: أَرَدْتُ أن أستريحَ ساعةً. قال: أو أَمِنْتَ الموتَ أن يأتيك، ورعيتك ينتظرونك، وأنت محتجِبٌ عنهم؟ فقامَ عمر من ساعتِهِ وَخَرَجَ إلى الناس.

[١٠] وقال ابن أبي الدنيا[3]/ فبي كتاب العزاء: حدثنا محمد بن الحسين، ثنا محمد بن يحيى بن إسماعيل عن أبيه قال: مات ابنٌ لعمر بن عبدالعزيز فجاء عمر فقعد عند رأسِهِ،

---

(١) فليقدمها.

(٢) إبراهيم ابن أبي عبلة: واسم أبي عبلة شمر بن يقظان الشامي، يكنى أبا إسماعيل ثقة من الخامسة مات سنة اثنتين وخمسين ومئة. تقريب ج ١، ص ٣٩.

(٣) ابن أبي الدنيا: مر ذكره ص ٤٢.

وكشَفَ الثَّوْبَ عن وَجْهِهِ فجعلَ يَنْظُر إليه ويَسْتَدمعُ[1] فجاء عبدالملك ابنه فقال: أَشَغَلَكَ يا أمير المؤمنين، ما أقبل من الموتِ إليك؟ بل هو في شغل عما حل[2] لديك، فكان قد لحقت[3] به وساويته[4]، تحت التراب بوجهك. فبكى عمر ثم قال: رَحِمكَ اللَّهُ يا بني، فواللَّهِ إنَّكَ لعظيمُ البركة، ـ ما علمتك ـ، على أبيك. نافعُ الموعِظَةِ لمن وَعَظْتَ. وأيمُ اللَّهِ، إن كان الذي رأيتَ من جَزَعي على أخيك، ولكن لما علمتُ أَنَّ مَلَكَ الموتِ دخل داري فراعني دخوله، فكان الذي رأيتَ. ثم أمر بجهازِهِ.

---

(١) يستدمع: يبكي.

(٢) أي أن ملك الموت في شغل عما أصابك. أو أن المتوفى في شغل عن أبيه وما حل به.

(٣) الأفضل أن تعجل في دفنه فوراً.

(٤) ساويته: هنا أي دفنته بسرعة.

الباب السادس

في ذكر صلابتِهِ في الدينِ وقوتِهِ في تنفيذ الحقِ واجتهادِهِ على الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر ومواعظِهِ لِأبيه في ذلك

روينا من حديث خير الجعفي عن محمد بن أبان قال: جمع عمر بن عبدالعزيز قُرّاءُ أهلِ الشام وفيهم ابن أبي زكريا الخزاعي[1] فقال: إني قد جمعتكم لأمر: قد أَهَمَّتْني هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي. ما ترون فيها؟ قالوا: ما نرى وِزرها إلا على من غَصَبها قال: فقال لعبدالملك ابنِهِ: ما ترى أي بني؟ قال: ما أرى[2]: من قَدِرَ/ [١١] على أن يردَّها فلم يردَّها والذي اغتصبها إلا سواء. فقال:

(١) عبدالله بن أبي زكريا الخزاعي أبو يحيى الشامي واسم أبيه إياس، وقيل زيد. ثقة فقيه عابد، من الرابعة مات سنة تسع عشرة ومئة. تقريب التهذيب ج ١/٤١٦.

(٢) أي أن رأيي: أن من استطاع أن يرد المظالم ولم يردها كان وزره كمن اغتصبها.

صدقت أيْ بني. ثم قال: الحمدُ لِلَّهِ الذي جَعَل لي وزيراً من أهلي عبدَالملك ابني[1].

وروى الحافظ أبو نعيم بإسنادِهِ إلى ميمون بن مهران قال: بعث إليّ عمر بن عبدالعزيز وإلى مَكْحولٍ[2]، وإلى أبي قُلابة[3]، فقال: ما ترون في هذه الأموال التي أُخِذَتْ

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، اشدد به أزري﴾ [طه: ٢٩].

(٢) مكحول الشامي: ... - ١١٢ هـ = ... - ٧٣٠ م: مكحول ابن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبدالله، الهذلي بالولاء: فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكابل. ترعرع بها وسبي، وصار مولى لامرأة في مصر، من هذيل فنسب إليها، وأعتق، فتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة. وطاف كثيراً في البلدان، واستقر في دمشق وتوفي بها. قال الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. وكان في لسانه عُجمة يجعل القاف كافاً والحاء هاء. ومن أخباره: قال ابن جابر: أقبل يزيد بن عبدالملك إلى مكحول، في أصحابه، فهممنا بالتوسعة له. فقال مكحول: مكانكم دعوه يجلس حيث أدرك. الأعلام ج ٧/٢٨٤، وانظر تقريب التهذيب ج ٢/٢٧٣.

(٣) أبو قِلابة الجَرْمي: ... - ١٠٤ هـ = ... - ٧٢٢ م: هو عبدالله بن زيد بن عمرو الجَرْمي عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة. أرادوه على القضاء، فهرب إلى الشام فمات فيها، وكان من رجال الحديث الثقات. الأعلام ٤/٨٨ وانظر تقريب التهذيب ١/٤١٧.

من الناسِ ظُلْماً. فقال مكحول يومئذ قولاً ضعيفاً فكرِهَهُ. فقال: أرى أن[1] تستأنِفَ، فنظر إلي عمر كالمستغيثِ بي فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ابعثْ إلىٰ عبدالملك فأحضره. فإنه ليس بدون من رأيت[2]. فلما دخل عليه قال: يا عبدالملك، ما ترى في هذه الأموال التي قد أُخِذَتْ من الناسِ ظُلْماً وقد حضروا يطلبونها وقد عرفنا مواضِعَها؟ قال: أرى أن تردَّها فإن لم تفعلْ كنت شريكاً لمن أخذها.

وروى يعقوب بن سفيان[3] بإسناده عن جويرية بن أسماء

---

(١) الكلمة غير واضحة في المخطوطة ولكنها جاءت في الحلية هكذا أي (تستأنف) ربما كانت بمعنى أن تترك.

(٢) أي ليست منزلة عبدالملك بأقل ممن رأيتهم وشاورتهم.

(٣) يعقوب بن سفيان: . . . - ٢٧٧ هـ = . . . - ٨٩٠ م: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف: من كبار حفاظ الحديث من أهل (فسا) بإيران. عاش بعيداً عن وطنه في طلب الحديث نحو ثلاثين سنة وروى عن أكثر من ألف شيخ. وتوفي بالبصرة. (له التاريخ الكبير) مخطوط. قطعة منه مصورة في معهد المخطوطات (٨١٩) تاريخ. وفي (مذكرات الميمني «مخطوط») ذكر مخطوطة قال عنها: هي الجزء الثاني من كتاب (المعرفة والتاريخ) للفسوي، في خزانة طوبقبو ساراي باستنبول. برقم ١٥٥٤. وكتاب (المشيخة). الأعلام ج ٨، ص ١٩٨، وانظر تقريب التهذيب ج ٢/٣٧٥.

عن إسماعيل عن أبي الحكم[1] قال: كنا عند عمر بن عبدالعزيز حين تفرق الناس ودخل للقائلة[2] فإذا منادٍ ينادي: الصلاةُ جامعةٌ ففزِعْنا فزعاً شديداً مخافة أن يكون قد جاء فَتْقٌ من وجهٍ من الوجوه أو حَدَثَ حَدَثٌ. قال جويرية[3]: وإنما كان دعا مُزاحماً[4] - يعني مولاه - فقال: يا مزاحم، إن هؤلاء القومَ - يعني بني عمِّهِ من الخلفاءِ الذين كانوا قبلَهُ - قد أعطَوْنا عطايا وما كان لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي وليس علي فيما دون الله محاسب. فقال له مزاحم: يا أمير المؤمنين هل تدري كم عيالك؟ هم[5] كذا وكذا. فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول: أَكِلُهُمْ إلى الله عز وجل/ ثم [١٢]

---

(١) أبو الحكم البجلي: مستور من الثالثة، تقريب التهذيب ج ٢/٤١٣.

(٢) الاستراحة وقت القيلولة.

(٣) جويرية بن أسماء: . . . - ١٧٣ هـ: هو جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري عالم بالحديث ثقة، نسبته إلى ضبيعة من بكر بن وائل أو إلى المحلة التي سكنوها بالبصرة. بقي من آثاره صحيفة مخطوطة في مكتبة شهيد علي باستنبول. الأعلام ج ٢/١٤٨.

(٤) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبدالعزيز ويقال مولى طلحة، مقبول من السادسة. تقريب التهذيب ج ٢/٢٤٠.

(٥) في حلية الأولياء: قال نعم، الله لهم.

انطلقَ مزاحمٌ من ساعتِهِ[1]، في وجهه ذلك، حتى استأذن على عبدالملك بن عمر؛ فأذن له، وقد اضطجع للقايلة. فقال له عبدالملك ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة؟ هل حَدَثَ من حَدَثٍ؟ قال: أَشَدُّ الحدثِ عليكَ وعلى بني أبيكَ قال: وما ذاك؟ قال: دعاني أمير المؤمنين فذكر له ما قال عمر، فقال عبدالملك: فما قلت له؟ قال: قلت يا أمير المؤمنين هل تدري كم عيالك هم كذا وكذا؟ قال: فما قال لك؟ قال: جعل يستدمع ويقول أكِلُهم الله عز وجل. فقال عبدالملك: بئسَ وزيرُ الدين أنت يا مزاحم ثم وثب وانطلق إلى باب عمر. فاستأذن عليه فقال الآذن: إن أمير المؤمنين قد وضع رأسَهُ للقايلة[2] فقال: استأذِنْ لي لا أُمَّ لك. قال: فسمع عمر الكلام فقال: من هذا؟ قال: عبدالملك قال: ائذن له، فدخل عليه وقد اضطجع للقايلة فقال ما حاجتُك يا بني هذه الساعة، قال: حديثٌ حدثنيه مزاحم قال: فأين وقع رأيُكَ من ذلك؟ قال: وقع رأيي على إنفاذه. قال فرفع عمر يديه وقال: الحمد لله الذي جعل من ذُرِّيَّتي من يعينُني على ديني. نعم يا بني أُصَلّي الظُهْرَ، ثم أصعد المنبر فأردها

(١) في رواية من وجهه.
(٢) النوم ظهراً أي القيلولة.

عـلانِيَةً، على رؤوس النـاس. فقال عبـدالملك: ومن لك بالظُهْرِ يا أميرَ المؤمنين ومن لك إن بقيت إلى الظهر أن تسلم لك نيتك إلى الظهر؟ فقال عمر: قد تفرَّقَ النـاسُ ورجعوا للقائلة. فقال عبدالملك: تأمر مناديك ينادي الصلاةُ/ جامعة [١٣] فيجتمع الناس. قال إسماعيـل[١] فنادى المنـادي: الصلاةُ جامعة؛ فخرجتُ فأتيتُ للمسجـدِ وجاء عمـر وصعد المنبـر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطوْنا عطايـا، والله ما كان لهم أن يعطوناها[٢]، وما كان لنا أن نقبلها منهم، وإن ذلك قد صارَ إلي، ليسَ عَلَيَّ فيـه دون الله تعالى مُحـاسبٌ، ألا وإني قد ردَدْتُهـا وبدأتُ بنفسي وأهلِ بيتي. اقرأ يا مزاحم.

قـال وجيء بِسَفَطٍ[٣] أو قـال جيء[٤] من فيهـا كتب ـ يعني كتب الإقطاعات ـ قال: فقرأ مزاحم كتاباً منها، فلما فرغ من قراءَتِهِ ناوله عمرَ وهو قاعد على المنبـر؛ فقصه بـالجلم[٥]

---

(١) إسماعيل ابن أبي الحكم.

(٢) أي يعطونا إياها.

(٣) السفط: الذي يعبأ فيه الطيب وما شابهه من أدوات النساء، لسان العرب.

(٤) هكذا جاءت وربما سقطت كلمة سهواً.

(٥) الجَلَم: المقراض، الذي يجز به الشعر والصوف، لسان العرب.

يعني المقراض، فاستأنف مزاحم كتاباً آخر فجعل يقرأ. فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه، ثم استأنف كتاباً آخر، فما زال كذلك حتى نودي لصلاة الظهر[1].

والمرادُ من هذه الحكايةِ أن عمر رضي الله عنه، رد الأراضي التي كانت في يده، مما أقطعه إياه بنو عمه الخلفاءُ قبلَه، فرد ذلك إلى بيتِ مالِ المسلمين ولم يبق في يدهِ شيء. وأن عبدالملك ابنه، حثه على فعل ذلك وعلى المبادرة إليه، حين عزم عليه خشية أن تنفسخ[2] عزيمته عن ذلك إن أخره إلى صلاة الظهر، أو يموت قبل فعله.

وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده له أن عبدالملك دخل على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين، ماذا تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقاً لم تُحْيِهِ وباطلاً لم تُمِتْهُ؟.

---

(١) في العقد الفريد ج ٥/١٨٤: لما انصرف عمر بن عبدالعزيز من دفن سليمان تبعه الأمويون فلما دخل منزله قال له الحاجب: الأمويون بالباب قال: وما يريدون؟ قال: ما عودهم الخلفاء قبلك. قال ابن عبدالملك: ائذن لي في إبلاغهم عنك. قال: وما تبلغهم؟ قال: أقول: أبي يقرئكم السلام ويقول لكم: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.

(٢) بمعنى أن تضعف وتهن.

وبإسناد ذلك آخر أن عبدالملك بن عمر دخل على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين/ إن لي عليك حاجةً فأدخلني ـ وعنده [١٤] مَسْلَمَة بن عبدالملك[١] ـ فقال عمر: أسِرٌ دون عمك؟ فقال: نعم. فقام مسلَمةُ؛ فخرج. وجلس عبدالملك بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، ماذا أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بِدْعَةً فلم تُمِتْها وسُنَّةً فلم تُحْيِها؟ فقال له: يا بني أشيءٌ حَمَّلكه[٢] الرعيةُ إليَّ؟ أم رأيٌ رأيتَهُ من قِبَل نفسك[٣]؟ قال: لا والله بل رأيٌ رأيته من قِبل نفسي، وعرفتُ أنك مسؤول عما أنت قائلٌ.

فقال له أبوه: رَحِمَكَ الله، وجزاك من والدك خيراً فوالله

---

(١) مسلمة بن عبدالملك: ... ـ ١٢٠ هـ = ... ـ ٧٣٨ م: هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد من أبطال عصره من بني أمية في دمشق. يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة، سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان بن عبدالملك. وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية سنة ٩٦ هـ. وولاه أخوه يزيد بن عبدالملك إمرة العراقين ثم أرمينية. غزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ ومات بالشام. قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. الأعلام ج ٧/ ٢٢٤.

(٢) حمّلكه: أي حملك إياه.

(٣) من قِبَلِ نفسك: أي من اجتهادك الخاص.

إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير. يا بني إنَّ قَوْمَك[1] قد شدوا هذا الأمر[2] عقدةً عقدةً، وعُروَةً عُرْوَةً. ومتى أريد مكابدتهم[3] على ما في أيديهم، لم آمَنْ من أن يُهْراقَ[4] في نَصْبَتي[5] محجمَةٌ[6] من دم. أو ما ترى أن يأتيَ على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت بدعة، ويحيي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومِنا بالحقِ وهو خيرُ الحاكمين.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد[7] بإسناده عن أبي شوذب قال: جاءت امرأةُ عبدِالملك بن عمر إليه وقد تَرَجَّلت[8]، ولبست إزاراً ورداءً ونعلين؛ فلما رآها

---

(١) قومك: يقصد آل مروان.
(٢) هذا الأمر: يقصد الملك.
(٣) مكابدتهم: من كابد. وكابد الأمر مكابدة إذا قاسى شدته. ومكابدة الأمر معاناة مشقته. لسان العرب (كبد).
(٤) يهراق: أن يُراق أي يُسفك.
(٥) نصبتي: يقصد بيعتي. أي مدة حكمي.
(٦) المحجم والمحجمة ما يحجم به. قال زهير: ولم يهريقوا بينهم ملء محجم. (لسان العرب: حجم).
(٧) هكذا الرواية في المخطوطة. لكن كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل.
(٨) ترجلت: لبست لبس الرجال.

قال: اعتَدّي اعتَدّي[1]. وقوله اعتَدّي كناية عن الطلاق. وإنما طَلَّقَها لما رآها قد تشبهتْ بالرجال في اللباس؛ وقد لعن رسول الله ﷺ من تشبه من النساءِ بالرجالِ، كما لعن من تشبه من الرجال بالنساء.

(١) اعتَدّي: أي ادخلي في العدة. أي أنه طلقها وذلك من كنايات الطلاق. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الرابع: كتاب الطلاق ص ٢٤٦ وما بعدها.

الباب السابع

في ذكر هوان نفسه عليه في ذات الله ورضاه بكل ما يناله من الأذى في تنفيذ أوامر الله عز وجل

روى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن ميمون بن مهران: أن عبدالملك بن عمر قال لأبيه يوماً: يا أَبَهْ ما [١٥] منعك/ أن تمضي لما تريد من العدل؟ فوالله ما كنت أبالي لو غَلَتْ بي وبك القدور في ذلك. وقال جويرية بن أسماء[١]: قال عبدالملك بن عمر: يا أمير المؤمنين ما منعك أن تنفِّذَ رأيَكَ في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي لو تغلي بي وبك القدور في هذا الأمر[٢].

---

(١) مرت ترجمته ص ٥٥.

(٢) في العقد الفريد ج ١، ص ٣٩: قال عبدالملك لأبيه: يا أبت مالك لا تنفذ في الأمور، فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. قال عمر: لا تعجل يا بني فإن الله تعالى ذم الخمر =

وقال الربيع بن سبرة[1]: قال عمر بن عبدالعزيز يوماً: والله لوددتُ لو عدلتُ يوماً واحداً، وأن الله توفى نفسي. فقال ابنه عبدالملك: وأنا واللَّهِ لوددتُ لو عدلتُ فواقَ ناقة[2]، وأن الله توفى نفسي فقال عمر: الله الذي لا إله إلا هو فقال عبدالملك: الله الذي لا إله إلا هو ولو جاشت بي وبك القدور. فقال عمر جزاك الله خيراً.

وقال سليمانُ بن حبيب المحاربي[3]: قال عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز: والله ما من أحد أعزَّ علي من عمر، ولئن سمعتُ بموتِهِ، أحبُّ إلي من أن أكون كما رأيته.

= في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة.

(١) الربيع بن سبرة بن معبد الجهني المدني ـ ثقة من الثالثة تقريب التهذيب ج ١/٢٤٥.

(٢) فُواق الناقة وفَواقُها: رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها. وأقام فواق ناقة: جعلوه ظرفاً على السعة. لسان العرب مادة فوق.

(٣) ... ـ ١٢٠ هـ = ... ـ ٧٣٨ م: سليمان بن حبيب المحاربي الداراني أبو بكر قاض من ثقات التابعين. من أهل الشام، كان ينعت بقاضي الخلفاء: استمر في قضاء دمشق ٣٠ عاماً نسبته إلى داريا من غوطة دمشق الأعلام ج ٣، ص ١٢٢، وفي تقريب التهذيب أن وفاته سنة ١٢٦ هـ.

قلت[1]: العارفون بالله المحبون له يرضون بما تقتضيه مقاديرُهُ؛ وإن كانت شاقة على النفوس مؤلمة لها، ويتلذذون بذلك؛ ولا سيما إن كان أذاهم[2] في تنفيذ أوامر الله والدعاء إلى طاعة الله. وكان هذا مقام عمر بن عبدالعزيز وابنه عبدالملك رضي الله عنه.

وكان عمر بن عبدالعزيز قد رسخ في هذا المقام الرفيع حتى يقول: أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القَضاءِ والقدرِ.

وكان أبو تراب النَخْشَبي[3] وهو من أعيان مشايخ العارفين ينشد هذه الأبيات:

---

(١) القول لابن رجب صاحب المخطوطة

(٢) أذاهم: يقصد تعذيبهم له.

(٣) أبو تراب النخشبي: ... - ٢٤٥ هـ = ... - ٨٥٩ م: هو عسكر بن الحصين (أو ابن محمد بن الحسين) النخشبي، أبو تراب: شيخ عصره في الزهد والتصوف. اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يُعرف إلا بها، وهو من أهل نخشب من بلاد ما وراء النهر. قال المناوي عربت فقيل لها نسف: كتب كثيراً من الحديث، وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وآخرون. قال ابن الجلاء: لقيت ستمئة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب. وقف ٥٥ وقفة بعرفة ومات بالبادية؛ قيل نهشته السباع، الأعلام ج ٤ ص ٢٣٣.

لا تُخْدَعَنَّ فللمحبِ دَلائلُ
ولَدَيْهِ من تُحَفِ الحبيبِ مَسائِلُ[1]
منها تَنَعُّمُهُ بمُرِ بَلائِهِ
وسرورُهُ في كلِ ما هو فاعِلُ[2]
فالمنعُ منه عَطِيَّةٌ والفَقْـ
ـرُ إكرامٌ وَبِرٌّ عاجِلُ[3]

---

(١) المحب هو العابد والحبيب هو الله.
(٢) كل شيء للمؤمن خير فالبلاء نعمة، وأعماله كلها سرور.
(٣) إذا منع الله فهذا هو العطاء؛ أي ثواب الصبر على المنع، وإذا أفقر فهو الكرم بذاته؛ لأن البر والثواب في ذلك الفقر.

الباب الثامن

[١٦] في ذكر/ شدةِ حذرهِ من الظلمِ وتنزّههِ من ذلك

كان عبدالملك رحمه الله يكره أن يُدخل نفسه في تأديبِ أهل الفساد، خشيةَ أن يتعدّى الحدودَ الشرعيـة، وهو غيـرُ قاصدٍ لذلك، أو خشيَة أن يُنْسَبَ إلى الظلمِ وهو منه بريء.

فروى عبدالله بن بطة ابنُ الفقيهِ الزاهدِ المجابِ الدعوةِ، وهو من أعيان علماء الحنابلة في كتاب الحَمّام بإسناده عن ميمـون بن مهـران قـال: أتيتُ عبـدَالملك بن عمـر بن عبدالعزيز، فاستأذنت عليه. فقعدت عنده ساعة، فأعجبت به. فجاء الغلام فقال: فرغنا مما أمرتَنا به. قال: قلتُ: وما ذاكَ؟ قال: الحَمّام أمرتُهُ أن يُخْلِيَهُ لي. قلت: إني كنتُ قد أُعجبتُ بك حتى سمعتُ هذه. قال: وما ذاك يا عماه؟ قال: أرأيت الحمّامَ مُلْكاً لك؟ قال: لا، قلت: فما الذي يحملُكَ أن تَصُدَّ عنه غـايتَه، وتعـطّلَه على أهله؟ قال: أنـا أعطّله عليـه؟

فأنا أعطيه غلة يومِهِ[1]. قلت: هذه نفقةُ كِبْرٍ، خالَطَها إسرافٌ. كأنك تريدُ بذلك الأُبَّهَةَ؛ فإنما أنتَ رجلٌ من المسلمين كأحدهم - يجزيك أن تكون مثلهم! فقال: والذي عَظَّم من حقك، ما يمنعني أن أدخلَ معهم إلا أن أرى قوماً رِعاعاً بغير ميازر[2] فأكرَهُ أن أؤدبهم على الإزار، فيَضَعُونَ ذلك على سُلْطانِنا، خَلَصَنا اللَّهُ منهم - كَفافاً[3] -. قال قلتُ: تدخله ليلاً. قال: أفعلُ، ولولا بردُ بلادِنا ما دخلتُهُ ليلاً ولا نهاراً.

---

(١) أي أدفع غلة اليوم مقابل إخلائي للحمام.

(٢) الميازر: المآزر: جمع مئزر وهو الإزار، معروف، يذكر ويؤنث (لسان).

(٣) أي بأن نكف عنهم أنفسنا.

الباب التاسع

في ذكر مرضِهِ ووفاتِهِ رضي الله عنه

قال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن مسلم[1] قال: حدثنا سعيدُ بنُ عامر قال: قال عمر بن عبدالعزيز لعبدِالملكِ ابنه: ما شيءٌ كنت أحب أن أراه فيك إلا قد رأيته، إلا شيئاً واحداً قال: ما هو قال: موتُكَ. قال: أراكَهُ الله[2].

وروى الحافظ أبو نعيم[3] بإسناده عن سليمان بن حبيب المحاربي[4] أن عبدالملك بن عمر أصابه الطاعون في [١٧] خلافة/ أبيهِ فماتَ.

---

(١) علي بن مسلم بن سعيد الطوسي نزيل بغداد صدوق من العاشرة. تقريب ج ٢، ص ٤٤.

(٢) يدعو عبدالملك لعمر أن يرى موته.

(٣) مر ذكره وترجمته وهو صاحب حلية الأولياء.

(٤) سليمان بن حبيب المحاربي: ... - ١٢٠ هـ = ... - ٧٣٨ م: الداراني أبو بكر قاض من ثقات التابعين من أهل الشام كان ينعت بقاضي الخلفاء. استمر في قضاء دمشق ٣٠ عاماً نسبته إلى داريا من غوطة دمشق، الأعلام ج ٣، ص ١٣٢.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مَشْيَخَةٍ من قريش قال: دخل عمر بن عبدالعزيز على ابنه في وَجَعِهِ فقال: يا بني كيف تجدُ[1]؟ قال: أجدني في الحقِ. قال: يا بني إن تكنْ في ميزاني أحبُّ إلي من أن أكون في ميزانك. فقال ابنه وأنا يا أبهْ لئن أكون ما تحبُّ، أحبّ إلي من أن يكون ما أُحِب[2]. وروى أيضاً بإسناده عن زياد بن حسان[3] أنه شهد عمر بن عبدالعزيز حين دفنَ ابنَه عبدَالملك. قال: فلما سوّى عليه قبرَهُ بالأَرْضِ، وجعلوا في قبرهِ خشبتين من زيتون؛ إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة، ثم استوى قائماً، وأحاطَ به الناسُ. فقال: رحمك الله يا بني، فلقد كنتَ بَرّاً بأبيكَ، وما زلتُ منذ وهبك الله لي مسروراً، ولا والله ما كنتُ أشدَّ سروراً ولا أَرْجىٰ لحظي من الله فيك، منذُ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر ذنبَكَ وجَزاك بأحسنِ عملك، وتجاوز عن مسيئه، ورحم كلَّ شافَعٍ يشفعُ لك من

---

(١) في ابن عساكر كيف تجدك: أي كيف تجد صحتك.

(٢) منتهى الإيثار ورضا الوالدين.

(٣) زياد بن حسان بن قرة الباهلي المعروف بالأعلم ثقة. قاله أحمد. من الخامسة، تقريب ج ١، ص ٢٦٦.

شاهدٍ وغائب. رضينا بقضاء الله وسَلَّمنا لأمره والحمد لله رب العالمين ثم انصرف رحمه الله تعالى[1].

وروى الحافظ أبو نعيم بإسناد له أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عبدالحميد[2] نائبه على الكوفة كتاباً، ينهى فيه أن يناح على ابنه[3]، كما كانت عادةُ الناسِ حينئذٍ في النياحةِ على الملوكِ وأولادِهِم، وفيه[4] أن عبدالملك ابنَ أميرِ المؤمنين كان عبداً من عبادِ الله، أحسن الله إليه في نفسه، وأحسن إلى أبيه فيه، أعاشَهُ الله ما أحبَّ أن يعيشه، ثم قبضه إليه حين أحب أن يقبضه، وهو فيما علمت بالموت مرتبطٌ، نرجو[5] فيه من اللَّهِ رجاءً حسناً. فأعوذ بالله أن تكونَ لي
[١٨] محبةٌ في شيء من الأمور تخالِفُ محبةَ الله/ فإنَّ خلافَ ذلك لا يصلُح في بلائِهِ عندي وإحسانه إلي ونعمته علي ثم قال:

---

(١) في العقد الفريد ج ٣، ص ٢٠٠: وقف عمر بن عبدالعزيز على قبر ابنه عبدالملك فقال: رحمك الله يا بني فلقد كنت ساراً مولداً باراً ناشئاً، وما أحب أني دعوتك فأجبتني.

(٢) في حلية الأولياء أنه عبدالحميد بن عبدالرحمٰن ج ٥، ص ٣٥٧.

(٣) في الأصل أن لا يناح.

(٤) أي في الكتاب.

(٥) نرجو في الأصل نرجوا.

أحببت أن أكتب إليك بذلك وأعلمكه[1] من قضاء الله، فلا أعلمْ من ينحْ عليه في شيء، من قبلك، ولا اجتمعَ على ذلك أحد من الناس، ولا رَخَّصْتَ فيه لقريب ولا بعيد، واكفني في ذلك بكفاية الله، ولا ألومَنَّكَ فيه إن شاء الله والسلام عليك[2].

وروى الإمام أحمد بإسناد له، أن عمر بن عبدالعزيز تتابعت عليه مصائبُ: مات أخ له، ثم مات مزاحِمٌ مولاه، ثم مات عبدالملك ابنه: فلما مات عبدالملك رحمه الله حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد دفعتْه إليَّ النساءُ في الخِرَقِ فما زلتُ أرى فيه السرورَ وقُرَّةَ العينِ إلى يومي هذا، فما رأيت فيه أمراً قط أَقَرَّ لعيني من أمرٍ رأيْتُهُ فيهِ اليَوْم.

---

(١) وأعلمك إياه.

(٢) وفي العقد الفريد ج ٣/٢٦٢. لما مات عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز كتب عمر إلى عماله: إن عبدالملك كان عبداً من عبيد الله أحسن الله إلي وإليه فيه. أعاشه ما شاء وقبضه حيث شاء، وكان ـ ما علمت ـ من صالحي شباب أهل بيته، قراءة للقرآن وتحرياً للخير وأعوذ أن يكون لي محبة أخالف فيها محبة الله، فإن ذلك لا يحسن في إحسانه إلي وتتابع نعمه علي. ولأعلمن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة. قد نهينا أهله الذين هم أحق عليه بالبكاء.

قال الزبير بن بكار: لما هلك عبدالملك بن عمر قال أبوه: يا بني لقد كنتَ كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، وإني لأرجو أن تكون اليومَ من الباقياتِ الصالحاتِ التي هي خيرٌ ثواباً وخيراً أملاً. والله ما يسرني أني دعوتُكَ فأجبْتَني.

وذكر ابن المؤدب[2] بإسناده عن علي بن خالد بن يزيد قال: لما مات عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل عمر فنظر إليه فخرج يتمثل[3].

وروى أبو نعيم بإسناد له: أن[4] عبدالملك لما مات

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٢) ابن المؤدب: علي بن محمد بن شاكر المؤدب الليثي الواسطي محدث أخباري واعظ من تصانيفه (كتاب في فضائل أهل البيت) (عيون الحكم والمواعظ وذخيرة المتعظ والواعظ) معجم المؤلفين ج ٢٠٢/٧.

(٣) أي يتمثل ببيت من الشعر. وفي العقد الفريد ج ٢٦٤/٣ كتب الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز يعزيه في ابنه عبدالملك ببيت شعر هو:

وعوضت أجراً من فقيد فلم يكن
فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

(٤) في الأصل عن.

عَـزِّى[1] النـاسُ أبـاه فعـزاه أعـرابي من بني كـلاب:

تـعـز أميـرَ الـمـؤمـنيـن فـإنَّـهُ
لما قد تَرى يُغْذَىٰ الصغيرُ ويُولـد[2]

هـل ابنـك إلا من سـلالـةِ آدمٍ
لكـلٍ على حوضِ المنيـةِ مَـوْرِدُ[3]

فما وقعت منه تعزية ما وقعت تعزية الأعرابي.

---

(١) في الأصل عزا.
(٢) يُغذى الصغير: غذوت الصبي باللبن فاغتذى أي ربيته به (لسان مادة غذو).
(٣) أي لا بد لكل إنسان أن يرد حوض المنية.

الباب العاشر

في ذكر سنه ومقدار عمره

روى محمد بن عثمان بن أبي شيبة[1] عن
[١٩] مِنجاب[2] بن الحارث عن يحيى بن عبدالملك/ بن أبي عتبة، أن عبدالملك بن عمر كان ابن تسعَ عشرةَ سنةً حين ماتَ رحمه الله.

وذكر القاضي أبو عبدالله القضاعي[3] في كتاب تاريخ

---

(١) عثمان بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي العبسي أبو الحسن من حفاظ الحديث، رحل من الكوفة إلى مكة والري وبغداد. وصنف (المسند) و(التفسير) وكان ثقة مأموناً وحُكيت عنه تصحيفات لبعض الآيات كأنها على سبيل الدعابة. حياته بين ١٥٦ - ٢٣٩ هـ، الأعلام ج ٤/٢١٣، وانظر تقريب التقريب ج ٢/١٣ و ١٤.

(٢) مِنجاب: بكسر أوله وسكون ثانيه ثم جيم ثم موحدة بن الحارث بن عبدالرحمٰن التميمي أبو محمد الكوفي ثقة من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين ومئتين تقريب ج ٢/٢٧٤.

(٣) ... - ٤٥٤ هـ = ... - ١٠٦٢ م: محمد بن سلامة بن جعفر بن =

الخلفاء قال: عاش عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز تسعَ عشرة ونِصْفاً.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي[1] في كتاب أعمال الأعيان قال: عبدالملك بن عمر لا يُتَيقَّنُ عمره ولكنه مات صبياً في حياةِ أبيه رحمهما الله.

= علي بن حكمون أبو عبدالله القضاعي مؤرخ، مفسر، من علماء الشافعية. كان كاتباً للوزير الجرجرائي (علي بن أحمد) بمصر في أيام الفاطميين. وأرسل في سفارة إلى الروم فأقام قليلاً في القسطنطينية. وتولى القضاء بمصر نيابة وتوفي فيها. من كتبه: (تفسير القرآن) عشرون مجلداً (الشهاب في المواعظ والآداب) و (مناقب الشافعي وأخباره) وغيرها. وفيات الأعيان ج ١/٤٦٢، وكشف الظنون ج ١، ص ٢٩٣، والأعلام ج ٦/١٤٦.

(١) هو الشيخ أبو الفرج عبدالرحمٰن بن علي... الجوزي القرشي البغدادي ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ عن سبعة وثمانين عاماً. كان من أبرز علماء عصره لعمق ثقافته وطول ممارسته وصادق تجربته فقد حصل كثيراً من علوم السلف. كان واعياً دقيق الاستنباط وقد سبق معاصريه وأترابه. وقدترك لنا ثروة ضخمة من المراجع والمتون إذ كان ذا صبر على البحث والتأليف؛ فقد ورد أنه كان يكتب في اليوم الواحد تسعة كراريس وهذا جهد كبير لا يطيقه إلا من رزق جلداً وصبراً. أهم كتبه: (زاد المسير في علم التفسير) و (تلبيس إبليس) وغيرهما. وفيات الأعيان ج ١/٢٧٩.

الباب الحادي عشر
في ثناء العلماءِ عليه ومدحِهم له

فمنهم أبوه أميرُ المؤمنين عمرُ بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وقد سبق بعضُ كلامِهِ في ثنائِهِ عليه، وكان عمر بن عبدالعزيز شديدَ الحبِ لابنه عبدالملك والإعجاب به وحديثِهِ، ولكنه كان لشدةِ خَوْفِهِ وقوةِ وَرَعِهِ؛ يخاف أن لا يكون ابنه في الأمرِ كذلك، وأنه زُيِّن له فيه ما يُزَيَّنُ للوالدِ من ولدِهِ فكان يتوقَّفُ أحياناً ويسألُ غيره، وقد ذكرنا بعضَ ذلك فيما تقدم.

وروى الدورقيُّ بإسنادٍ له: أن عمر قال لابنه عبدالملك يوماً: يا عبدالملك إني أخبرك خبراً: لا والله إن[1] رأيت فتى ماشياً قط أَنْسَكَ منك نسكاً، ولا أفقهَ فقهاً ولا أقرأَ منك، ولا أبعدَ من صبوةٍ[2] في صغيرٍ ولا كبيرٍ.

(١) إن هنا: بمعنى ما النافية.

(٢) أبعد من صبوة: الصَبْوَة: جهلة الفتوة واللهو من الغزل ومنه التصابي والصبيا لسان (صبو).

وقال عمر بن عبدالعزيز واللَّهِ لولا أن يَهَ ـنَ بي زينةٌ من أمرِ عبدالملك؛ ما يُزَيَّنُ في عينِ الوالدِ من ولدِهِ، لرأيتُ أنه أهل للخلافة[1].

وبإسناد آخر له: إن عبدَالملك لما توفي جَعَلَ أبوهُ يثني عليه عند قبرِهِ، فقال له رجل يا أمير المؤمنين، لو بقي كنت تعهدُ إليه؟ قال: لا، قال: لم؟ وأنت تثني عليه؟ قال: أخافُ أن يكون زُيِّنَ في عيني منه ما يُزَيَّنُ في عينِ الوالدِ من ولده.

ومنهم ميمون بن مهران من أعيانِ التابعين وكان خصيصاً[2] بعمر بن عبدالعزيز وقد تقدم/ بعض ذكر ثنائِهِ [٢٠] على عبدالملك.

وروى الإمام أحمد بإسنادِهِ عن ميمون بن مهران قال: ما رأيتُ ثلاثة في بيتٍ خيراً من عمر بن عبدالعزيز، وابنهِ عبدالملك، ومولاهم مزاحم[3].

---

(١) كل أب بابنه معجب. لذلك كان عمر يخاف أن يكون حكمه على ابنه فيه شيء من الهوى لما يحصل من إعجاب الأب بابنه.

(٢) خصيصاً: يجب أن تكتب هكذا خصيصى. خصه بالشيء يخصه خصوصاً وخصوصية وخصيصى: أفرده به دون غيره.

(٣) وفي رواية في سند آخر: عمر بن عبدالعزيز وأخوه سهل وابنه عبدالملك.

ومنهم الربيعُ بن سبرة[1]: روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الربيعِ بن سبرة أنه دخل على عمر بن عبدالعزيز لما هَلَكَ ابنُهُ عبدالملك وأخوهُ سهلٌ[2] ومزاحم مولاهم في أيامٍ متتابعةٍ، فقال له الربيع[3]: أعظم الله جَزاءك يا أمير المؤمنين فما رأيتُ أحداً أُصيبَ بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة؛ واللَّهِ ما رأيتُ مثلَ ابنك ابناً ولا مثلَ أخيك أخاً ولا مثلَ مولاكَ مولىً[4] قط.

ومنهم سيار بن الحكم[5] أنه قال: قال ابن لعمر بن عبدالعزيز يقال له عبدالملك وكان يفضل على أبيه عمر: يا أَبَهْ أقم الحقَّ ولو ساعةً من نَهارٍ.

---

(١) الربيع بن سبرة بن معبد الجهني المدني ثقة من الثالثة تقريب ج ١، ص ٢٤٥.
(٢) أخوه سهل بن عبدالعزيز بن مروان.
(٣) الربيع بن سبرة.
(٤) في الأصل مولاً.
(٥) سيار بن الحكم هو خادم لعمر بن عبدالعزيز: حاشية ابن الجوزي (سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز) ص ١١٤.

فصل

وهذه نبذةٌ مختصرةٌ من سيرةِ والدِ عبدالملكِ أبي حفصٍ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ونَفَعَ بها

قال عمر بن عبدالعزيز لصاحبِ حرسِهِ عمروَ بن مهاجر[1]: إذا رأيتني قد مِلْتُ عن الحق فضع يدك في تِلْبابي[2] ثم هُزَّني ثم قل لي: يا عمر، ماذا تَصْنَعُ؟.

وكتب عمر إلى المسلمين كتاباً يُقرأُ عليهم بالموسمِ[3] بمكة:

---

(١) عمرو بن المهاجر بن أبي مسلم الأنصاري، أبو عبيد الدمشقي ثقة من الخامسة مات سنة ١٣٩ هـ وله أربع أو خمس وسبعون سنة التقريب ج ٢، ص ٧٩.

(٢) تلبابي: أخذ فلان بتلابيب فلان: إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجره. (لسان العرب) لبب.

(٣) الموسم: يقصد موسم الحج.

أما بعد فإني أشهدُ الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام، والبلدِ الحرام ويوم الحج الأكبرِ، أني بريء من ظلمكم، وعدوانِ[1] من عاداكم، أن أكونَ أَمَرْتُ بذلك أو رضيتُ به أو تَعَمَّدْتُهُ إلا أن يكون وهماً مني، أو أمراً خفي علي ولم أتعمدْه، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً[2] عني مغفوراً لي، إذا عُلم مني الحرصُ والاجتهاد. ألا وإنه لا إذن على المظلوم دوني وأنا مُعَوّلُ[3] المظلوم. ألا وإن أي عاملٍ من عمالي رغبَ عن الحق ولم يعملْ بالكتابِ والسُّنَةِ فلا طاعةَ له عليكم، وقد صَيَّرتُ أمرَهُ إليكم، حتى يراجع الحق وهو ذميم[4]، ألا وإنه لا دُولة[5] بينَ أغنيائكم ولا أثرةَ على
[٢١] فقرائِكم/ في شيء من فيئكم. ألا وأيُّما واردٍ[6] وردَ في أمرٍ يُصْلحُ اللَّهُ به خاصاً أو عاماً من هذا الدين، فله ما بينَ مئة دينارٍ إلى ثلاثمئةِ دينارٍ، على قدرِ ما نوى من الحَسَنَة وتجشَّمَ

---

(١) أي أني بريء من ظلم الذي ظلمكم ومن عدوان الذي يعاديكم.
(٢) موضوعاً عني: وضع الدين عنه أي أسقطه (لسان).
(٣) أي اتكاله علي واستعانته (لسان).
(٤) ذميم أي مَذْموم.
(٥) الدَوْلة والدُولة لغتان: المال والانتقال من حال إلى حال.
(٦) أي إنسان يرد علي أو يقدِم علي في أمر يصلح أمراً خاصاً أو عاماً أعطيته ما بين مئة دينار إلى ثلاثمئة.

المشقَّةَ، فرحم اللَّهُ أمرأً لم يتعاظمْه شيءٌ يُحيي اللَّهُ به حَقاً لمن وراءَه. ولولا أن أشغلكُمْ عن مناسِكِكُمْ، لرسمتُ لكم أموراً من الحقِ أحياها اللَّهُ لكم، وأموراً من الباطلِ أماتَها اللَّهُ عنكم، وكان الله هو المتوحِّدَ بذلك؛ فلا تحمدوا غيره؛ فإنه لو وكلني إلى نفسي كنتُ كغيري والسلامُ عليكم.

وكتب بعضُ عمالِ عمر بن عبدالعزيز إليه: أما بعد فإن مدينتنا قد خربَتْ فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نُعمّرها به فعل.

فكتب إليه: أما بعدُ فقد فهمتُ كتابَكَ وما ذكرتَ أن مدينتك قد خرِبتْ فإذا قرأت كتابي هذا فأحصُنْها[1] بالعدلِ، ونقِّ[2] طرقَها من الظلمِ؛ فإنه ما يرحمها والسلام.

وكتب إليه بعض عماله[3] أيضاً:

إن ناساً من العمال قد اقتطعوا من مالِ اللَّهِ مالاً عظيماً، لستُ أقدر على إخراجه منهم، إلا أن يمسَّهم شيءٌ من

---

(١) أحصنها: احمها بالعدل. أو اجعل العدل حصناً ووقاء لها.
(٢) نقِّ: من نَقّىٰ ينقي تنقية. بمعنى صَفِّى. والمقصود أن يجعلها صافية من الظلم. فإن ذلك يُعَمِّرها ويرمّمُها.
(٣) الكاتب هو عدي بن أرطاة.

العذاب؛ فإن رأى أميرُ المؤمنينَ أن يأذَنَ لي في شيءٍ من ذلك. فكتب إليه عمر:

أما بعد فالعَجَبُ كلُ العجبِ في استئذانك إياي في عذابِ بشرٍ، كأنني لك جُنة[1] من عذاب الله عز وجل، وكأن رضائي عنكم منجيكم من سَخَطِ الله، فانظر من قامتْ عليه البيّنةُ فخذْه بما قامَتْ عليه، ومن أقر لكَ بشيءٍ فخذهُ بما أقر به، ومن أنكر فاسْتَحْلِفْه باللَّهِ تعالى وخلِّ سبيله، فواللَّهِ لأن يلقوا اللَّهَ بجناياتِهِمْ أحبُ إلي من أنْ ألقى اللَّهَ بدمائِهِمْ.

وبلغ عمر بن عبدالعزيز أنَّ أحد أبنائِهِ اشترى فَصاً بألفِ درهم ليختم به. فكتب إليه عمر: عزيمة مني عليك يا بُني لما بعتَ الفَصَّ الذي اشتريت بألف درهم، وتصدقت بثمنه واشتريت فصاً بدرهم ونقشت عليه: (رحم الله امرءاً عرف
[٢٢] قدر/ نفسه) والسلام[2].

---

(١) جُنة: الجُنة: الحماية والستر.

(٢) في سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي: أنه كتب لابنه: أما بعد فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فبعه، وأشبع به ألف جائع. واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه: رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

وشكا مزاحم إلى عمر حاجةَ أهلِ عمر وقلةَ، ما بأيديهم فقال عمر: إن لي نفساً تَوّاقَةً، لقد رأيتُني وأنا بالمدينة غلامٌ من الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلمِ والعربيةِ والشعر فأخذت منه حاجتي. ثم تاقتْ نفسي إلى السلطانِ فاستُعملتُ على المدينة. ثم تاقَتْ نفسي وأنا في السلطانِ إلى اللبسِ والعيشِ الطيبِ، فما علمتُ أن أحداً من أهلِ بيتي ولا غيرِهم كان فيما كنتُ فيه، ثم تاقَتْ نفسي إلى الآخرةِ والعملِ بالعدلِ؛ فأنا أرجو أن أنالَ ما تاقَتْ إليه نفسي من أمرِ آخرتي ولستُ بالذي أُهْلِكُ آخرتي بدُنياي.

وكان عمر يقول لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبْني بخمسِ خصالٍ: يدلُّني من العدلِ ما لا أهتدي له، ويكونُ لي على الحقِ عوناً، ويبلغُني حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغَها ولا يغتاب عندي أحداً، ويؤدي الأمانةَ التي حملَها مني ومن الناس؛ فإذا كان كذلك فأهلاً به وإلا فهو في حَرَجٍ من صُحْبتي والدخولِ عليَّ.

وكتب عمر إلى عامِلِهِ على فلسطين: أن اركب إلى البيت الذي يقال له المكس[1] فاهدمه ثم احمله إلى البحرِ

(١) المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية، والمكس =

فانسفْهُ في اليـمِ[1] نَسْفاً.

وشكا إلى عمر بن عبدالعزيز بعضُ عمالِهِ فكتبَ إليه: (أذكر طولَ سهرِ أهلِ النـارِ في النار، مع خلودٍ إلى الأبد. وإيـاكَ أن ينصرفَ بـك من عند اللَّهِ فيكـون آخـر العهـد، وانقطاع الرجاءِ) فلما قرأ العامل الكتاب، طوى البلاد حتى قـدم على عمـر قـال: مـا أقـدمـك؟ قـال: خلعتَ قلبي بكتابك والله لا أعود إلى ولايةٍ حتى أَلْقى الله عز وجل.

وكتب عمر إلى بعض مدن الشام كتاباً كتب فيه:

أما بعد. فكم للترابِ في جسدِ ابنِ آدم من مأكلٍ وكم [٢٣] للدودِ في جوفِهِ من طـريق منخرقٍ[2] وإني/ أحـذركم أيها الناس ونفسي العَرْضَ على الله عز وجل.

وكان عمر يجمع الفقهاء كل ليلة، فيتذاكـرون الموتَ والقيامةَ، ثم يبكون كأن بين أيديهم جنازةً.

وكان عمر يوماً في بيتٍ فبكى، فبكتْ زوجتـه، فبكى

= دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية (لسان العرب: مكس).

(١) اليم: البحر.

(٢) خرق الأرض يخرقها: قطعها حتى بلغ أقصاها.

أهل الدارِ لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما انجلتْ[1] عنهم العبرةُ قالت لـه زوجَتُهُ: يـا أمير المؤمنين مِمَّ بكيت؟ قال: ذكرت منصرف[2] القومِ من بين يدي اللَّهِ عزوجل: فريق في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه.

(١) انكشف عنهم ما هم فيه وجفت الدموع.
(٢) منصرف: انصراف وهو مصدر ميمي من الفعل انصرف.

آخر خطبة خطبها على المنبر

وكان آخر خطبة خطبها على المنبر رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم لَمْ تُخلقوا عبثاً، ولم تُتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزلُ اللَّهُ فيكم؛ ليحكمَ بينكم ويفصلَ بينكم، وخابَ وخسرَ من خَرَجَ من رحمةِ اللَّهِ وحُرِمَ جَنَّةً عرضُها السماوات والأرض. ألم تعلموا أنه لا يَأمَنْ غَداً إلا من حذِرَ الله اليومَ وخافه، وباعَ نافداً[1] بباقٍ، وقليلاً بكثيرٍ وخوفاً بأمان. ألا ترون أنكم في أسلابِ الهالكين، وسيصيرون من بعدكم للباقين، وكذلك حتى نردَّ إلى خيرِ الوارثين. ثم إنكم تشيّعونَ كل يومٍ غادياً ورائحاً قد قضى نحبه[2]، وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض، وفي شقِ صدعٍ، ثم تتركونَهُ غير ممهَّدٍ ولا موسَّدٍ قد فارَقَ الأحبابَ وباشَرَ التُرابَ وواجَهَ الحِسابَ، مرتهنٌ بما عمل،

---

(١) نفد الشيء إذا انتهى. ويقصد الشيء الزائل.

(٢) قضى نحبه: أي مات.

غنيٌ عما تركَ فقيرٌ إلى ما قدم. فاتقوا الله عز وجل قبل نزولِ الموت وحلولِهِ بكم. أما والله إني لأقولُ هذا، وما أعلم عِنْدَ أَحَدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندي. وأَسْتَغفرُ الله وأتوب إليه، وما منكم من أحدٍ حاجة، لا يتسع له ما عندنا، إلا تمنيتُ اللَّهَ أن يبدأ بي / وبخاصَّتي، حتى يكونَ عيشُهُ وعيشُنا [٢٤] واحداً، إنه واللَّهِ لو أردتُ غير هذا من غضارَةِ العيشِ، لكان اللسان ذلولاً، وكنت بأسبابِهِ عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دَلَّ فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته. ثم رفَعَ طرَفَ ردائِهِ، وبكى حتى شهق، وأبكى من حوله، ثم نزل ولم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله.

وكتب عمر إلى عامِلِهِ على البصرة:

أما بعد فإني أذكرك بليلةِ تمخض بالساعة، فصباحها القيامة[1]. يا لها من ليلة ويا له من صباح كان على الكافرين عسيراً.

وبكى عمرُ ذات ليلة، فاشتد بكاؤه، فلما أصبح قال لغلامه: يا بني ليس الخير أن يُسمع لك ويُطاع، وإنما الخير أن تعقِلَ عن ربك ثم تطيعه. يا بُنَيّ لا تأذنْ اليومَ لأحدٍ

(١) في الأصل القيمة.

علي، حتى يرتفع النهار؛ فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهموا عني. قال الغلام[1]: يا بأبي أنتَ يا أميرَ المؤمنين، رأيتُك الليلة بكيتَ بكاءً ما بيكتَ مثله. قال: فبكى ثم قال: يا بني إني واللَّهِ ذكرتُ الوقوفَ بين يدي الله عز وجل قال: ثم أغمي عليه فلم يُفِقْ حتى علا النهار. قال: فما رأيتُهُ بعد ذلك مبتسماً حتى ماتَ رحمه الله.

وجاء أعرابي يوماً إلى عمر بن عبدالعزيز، فقال: يا أمير المؤمنين جاءت بي[2] الحاجَةُ وانْتَهَتْ الغايَةُ، والله سائلك عني يوم القيامة. قال: ويحك أَعِدْ عليَّ، فأعاد عليه؛ فنكس عمر رأسه وأرسل دموعَهُ حتى ابتلَّتْ الأرض، ثم رفع رأسه
[٢٥] فقال: ويحك كم/ عيالك وَكم أنتم قال: أنا وثلاثُ[3] بنات؛ ففرض له على ثلاثمئة وفرض لبناتِهِ على مئةٍ، وأعطاه مئة درهم وقال: هذا من مالي وليسَ من أموالِ المسلمين، اذهبْ فاستنفِقْها حتى تخرجَ أعطياتُ المسلمينَ وتأخذَ معهم.

---

(١) في الأصل الفلا.
(٢) في ابن الجوزي: إليك.
(٣) في ابن الجوزي: ثماني بنات.

وأتاه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه فقال: يا أميرَ المؤمنين أُذكِّرُ بمقامي هذا بين يديك، مقاماً لا يشغل اللَّهَ ـ عزَّ وجَلَّ ـ عنه كثرةُ من يتخاصم من الخلائق؛ يوم تلقاهُ بلا ثقةٍ من العمل، ولا براءةٍ[1] من الذنب. فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال: ويحك رَدِّدْ عليَّ كلامَكَ هذا[2]. فجعل يردِّدُه وعمرُ يبكي وينتحب ثم قال: حاجَتَك؟ قال: إن عامل أذربيجان عدا[3] علي وأخذ مني اثني عشر ألف درهم؛ فجعلها في بيت مالِ المسلمين. فقال عمر: اكتبوا له الساعةَ إلى عامِلِها حتى يردَّ عليه.

ووعظه رجل من الصالحين يوماً فقال له: يا أمير المؤمنين ما أمة محمد ﷺ إلا هو خصمٌ لك. فبكى عمر حتى تمنّى ذلك الرجل أنه لم يكن قال شيئاً.

وقال عمر بن عبدالعزيز يوماً لخالد بن صفوان[4]: عِظْني

---

(١) في سيرة عمر لابن الحكم: ولا نجاة من الذنب.

(٢) في سيرة عمر لابن الحكم: أردد علي كلامك فرد عليه...

(٣) في الأصل عدى والمعنى تعدى علي.

(٤) ـ ... ـ ١٣٣ هـ = ... ـ ٧٥٠ م: خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبدالعزيز وهشام بن عبدالملك وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة وكان أيسر أهلها مالاً ولم يتزوج. وله كلمات سائرة: قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ =

وأَوْجِزْ. فقال: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرهم ستر الله تعالى عليهم، وفتنهم حسن الثناء؛ فلا يغلبن جهلُ غيرِك بك معرفتَكَ بنفسك. أعاذني[1] الله وإياك أن نكون بالسِتْرِ مغرورين، وبثناءِ الناسِ مفتونين، وعما افترض علينا متخلّفين، وإلى الهوى مائلين فبكى عمر ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتّباعِ الهوى.

وقال خالد بن صفوان يوماً لعمر: إن الله لم يَرضَ أن
[٢٦] يكون أحد فوقكَ/ فلا ترض أن يكون أحدٌ فوقي، فوالله لأخافنه خوفاً، ولأحذرنه حذراً، ولأرجونه رجاء، ولأُحِبَّنَّهُ محبةً، ولأشكرنَّه شكراً، ولأحمدنه حمداً، يكون ذلك كله طاقتي، ولأجتهدنَّ في العدلِ والنِصْفَةِ والزُهْد في الدنيا لزوالها، والرغبةِ في بقاءِ الآخرة ودوامِها حتى ألقى الله عز وجلَّ؛ فلعلي أنجو مع الناجين[2]، وأفوز مع الفائزين

= فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه. الأعلام ج ٢/٢٩٧ وانظر وفيات الأعيان ج ١/٢٤٣.

(١) في الأصل أعاذ.

(٢) في الأصل أنجوا من الناجين.

وبكى حتى غشي عليه[1]. وقام خالد وتركه على حاله.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز يوماً هذه الآية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2] فبكى عمر بكاءً شديداً حتى سمعه أهلُ الدارِ، فجاءت زوجته، فجعلت تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء ابنه عبدالملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال فقال: يا أبه ما يبكيك؟ قال: خير يا بني، ودَّ أبوك أنه لم يعرِفْ الدنيا ولم تعرِفْه، يا بني لقد خشيتُ أن أَهْلَكَ، يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

(١) يبدو أن هذا كلام عمر لا كلام خالد بن صفوان.
(٢) سورة يونس: الآية ٦١.

مع سابق البربري

ودخل يوماً سابق البربري[1] الشاعرُ على عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر: عظني يا سابقُ وأوْجِزْ قال: نعم. وأبلغ يا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى قال: هات. فأنشده:

إذا أنْتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُقى
ووافيْتَ بعد الموتِ من قَدْ تَزَوَّدا[2]
نـدمتَ على أن لا تكونَ شركتَهُ
وأرْصَدْتَ قبلَ الموتِ ما كان أرصدا[3]

فبكى عمر حتى خَرَّ مَغْشِيّاً عليه.

---

(١) ... - ١٠٠ هـ = ... - ٧١٨ م: سابق بن عبدالله البربري أبو سعيد شاعر من الزهاد. له كلام في الحكمة والرقائق وهو من موالي بني أمية والبربري لقب له. ولم يكن من البربر. سكن الرقة، وكان يفد على عمر بن عبدالعزيز فيستنشده عمر فينشده من مواعظه. الأعلام ج ٣/٦٩.

(٢) أي من تزود بالتقى.

(٣) ما كان قد ادخره من الأعمال الحسنة.

وأنشد يومئذ قصيدةً حسنة، مشتملة على حكم ومواعظ، أنشدها لعمر بن عبدالعزيز ونحن نذكرها ونختم بها الكتاب.

قال متمثلاً:

١ بسم الذي أُنْزِلَتْ من عندِهِ السُور
والحمد للَّهِ أما بعدُ يا عمرُ

٢ إن كنتَ تعلمُ ما تَأْتي ومنا تَذَرُ
فكُنْ على حَذَرٍ قد ينفَعُ الحذرُ[١]

٣ واصبرْ على القَدَرِ المقدورِ[٢] وارضَ به
وإن أَتاك بما لا تشتهي القَدَرُ

٤ فما صفا[٣] لامرىءٍ عيشٌ يُسَرُّ بِهِ
إلا وأَعْقَبَ يوماً (صفوُهُ كَدَرُ)[٤]

---

(١) تذر: من وَذَرَ بمعنى ترك و(ذَرْه) اتركه وأماتت العرب ماضيه ومصدره.

(٢) في سيرة عمر لابن الجوزي المجلوب.

(٣) في الأصل صفى.

(٤) في سيرة عمر لابن الجوزي البيتان التاليان بعد هذا البيت.
واستخبر الناس عما أنت جاهله
إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوي المرء يوماً بعد هفوته
وتحكم الجاهلَ الأيامُ والغِيَرُ

٥ إن التقى خيـرُ زادٍ أنـتَ حـامِلُهُ
والبِـرُّ أفْضَـلُ مـا تـأتي ومـا تَـذَرُ[١]

٦ من يَطْلُبِ الجورَ[٢] لا يَظْفَرْ بحاجتِهِ
وطـالبُ العدلِ قـد يُهـدى لـه الـظَفَـرُ

٧ وفي الهدى عِبَرٌ تَشْفى القلوبُ بها
كـالغيثِ تَنْضُـرُ عن وسميِّـهِ[٣] الشَجَـرُ

٨ وليس ذو العلمِ بالتقوىٰ كجـاهِلِها
ولا البصيـرُ كـأعمىً مـا لـه بَصَـرُ

٩ لا تَشْبَـعُ النَفْسُ حتى حين تحرِزُهُ
ولا يـزال لـهـا فـي غـيـرِهِ وَطَـرُ[٤]

---

(١) في ابن الجوزي: والبر أفضل شيء ناله بشر.
(٢) الجور: الظلم.
(٣) الوسمي: مطر الربيع الأول.
(٤) الوطر: الحاجة فيها مأرب وهمة.
وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي بيتان بعد هذا البيت:
والـرشـد نـافلة تُهدى لصـاحبهـا
والغيّ يُكـره منـه الـوِردُ والـصَـدَرُ
قـد يـوبق المـرءَ أمر وهـو يحقره
والشيء - يا نفس - ينمى وهو يُحتقر

١٠ ولا تـزالُ وإن كـانَتْ لهـا سَعَـةٌ
لهـا إلى الشيءِ لم تـظفـرْ بـه نَـظَرُ[١]
١١ والـذكـرُ فيـهِ حيـاةٌ للقلوبِ كمـا
يحيي البـلادَ إذا مـا مـاتَتْ المـطرُ[٢]
١٢ والعلمُ يجلو العمى عن قَلْبِ صاحِبِهِ
كمـا يجلّي سـوادَ الـظُلْمَـةِ القمـرُ
١٣ لا ينفـعُ الذكـرُ قلبـاً قـاسِيـاً أبـداً
وهـل يَلينُ لقـولِ الـواعِظِ الحَجَرُ؟[٣]
١٤ ما يلبثُ المرءُ أن يَبْلى إذا اختَلَفَتْ
يـوماً على نفسِـهِ الـدَوحـاتُ والغِيْـرُ[٤]

---

(١) بعد هذا البيت بيت في سيرة عمر لابن الجوزي وهو:
وكـل شـيء لـه حـال تـغـيـره
كـمـا تغيـر لـونَ اللمـة الـغِيَـرُ
(٢) في الأصل إذا ماتت. فينكسر الوزن والأفضل وجود (ما) الزائدة.
(٣) بعد هذا البيت ثلاثة أبيات في سيرة عمر لابن الجوزي وهي:
والمـوت جسر لمن يمشي على قـدم
إلـى الأمـور التـي تُخشى وتُنتـظر
فـهم يـمـرون أفـواجـاً وتجـمعـهم
دار يصيـر إليهـا البـدو والحـضـر
من كـان في معقـل للحـرز أسلمـه
أو كـان في خمـر لم ينجـه خمـر
(٤) في ابن الجوزي الروحاتُ والبُكر.

١٥ والمرءُ يَصْعَدُ ريعانُ الشبابِ به
وكلُ مُصعِدَةٍ يوماً سَتَنْحَدِرُ
١٦ بينا نرى الغُصْنَ لَدْناً في أَرومَتِهِ[١]
ريانَ صارَ حُطاماً جوفُهُ نَخِرُ
١٧ وكل بيتٍ خرابٌ بعد جِدَّتِهِ
ومن وراءِ الشبابِ الموتُ والكِبَرُ
١٨ والموتُ جسرٌ لمن يمشي على قَدَمٍ
إلى الأمورِ التي تُخشَى وتُنْتَظَرُ
١٩ فهم يمرّون فيها[٢] وهي تجمَعُهُمْ
دارٌ إليها يصيرُ البدوُ والحَضَرُ
٢٠ فكم جميعٍ أَشَتَّ الدهرُ شَملَهُمُ
وكلُ شَمْلٍ جميعٍ سوف ينتشرُ
٢١ ورُبَّ أصيدَ سامي الطرفِ معتصبٍ
بالتاجِ نيرانُهُ للحربِ تستَعِرُ[٣]

---

(١) لدناً: طرياً ريان. أرومته: أصله.
(٢) في سيرة عمر لابن الجوزي فهم يمرون أفواجاً وتجمعهم.
(٣) هذه الأبيات تتمة للقصيدة وهي غير موجودة في المخطوطة لكنها وجدت في سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٨٨ و ١٨٩.

٢٢ يـظل مفترشَ الـديباجِ محتجِباً[١]
عليـه تُبْنى قبـابُ المـلكِ والحُـجَـرُ
٢٣ قـد غادرَتْـهُ المنـايا وهـو مُسْتَلَبٌ
مجـدَّلٌ، تـربُ الخـدينِ، مُنْعَفـرُ[٢]
٢٤ أبعـدَ آدمَ تـرجـون البقـاءَ وهـل
تبقى فـروع لأصـلٍ حين يَنْـعِقـرُ[٣]
٢٥ لهم بيـوتٌ بمستنِ السيـوفِ وهـل
يبقى على المـاء بيتٌ أسُّـهُ مَـدَرُ[٤]
٢٦ إلى الفنـاءِ وإن طـالَتْ سـلامتُهُمْ
مصيـرُ كـل بني أنثى، وإن كثُـروا[٥]

---

(١) الديباج: بالكسر فارسي معرب وجمعه ديابيج وإن شئت دبابيج.
(٢) مستلب: مسلوب منهوب. مجدل: صريع على الأرض (لسان العرب) منعفر: ممرغ بالتراب.
(٣) ينعقر: من عقر والعقر شبيهٌ بالحز. وعقر الفرس والبعير بالسيف عقراً قطع قوائمه.
(٤) المدر: قطع الطين اليابس. والعرب تسمي القرية المبنية بالطين واللبن مَدَرَة (لسان).
(٥) إشارة إلى بيت كعب بن زهير:
كـل ابن أنثى وإن طـالت سـلامتـه
يـوماً على آلـةٍ حـدبـاء محمـول

٢٧ إن الأمـور إذا استقبلَتها اشتَبَهَتْ
وفي تـدبُّـرِهـا التـبيـانُ والـعِبَـرُ[١]

٢٨ والمرءُ ما عاشَ في الدنيا له أملٌ
إذا انـقضى سفـرٌ منهـا أتى سَفَـرُ

٢٩ لهـا حـلاوةُ عيشٍ غيـرُ دائمـةٍ
وفي العـواقبِ منهـا الـمُـرُّ والصَبِـرُ

٣٠ إذا انقضَتْ زمـرٌ آجـالُهـا نـزلتْ
عـلى منـازِلـهـا من بـعـدِهـا زُمَـرُ

٣١ وليس يـزجـرُكم مـا تـوعَـظون بـه
والبُهم يـزجـرُهـا الـراعي فتنْـزَجِـرُ[٢]

٣٢ أصبحتم جُـزُراً للمـوت يقبِضكم
كمـا البهـائِمُ في الـدنيـا لهـا جـزُرُ[٣]

٣٣ لا تبطروا، واهجروا الدنيا فإن لها
غبـاً وخيمـاً، وكفـرُ النعمـةِ البَـطَرُ[٤]

---

(١) اشتبهت: اختلطت.
(٢) يزجرها: الزجر: المنع والنهي. وتنزجر: ترتدع (لسان).
(٣) الجـزر: ج جزَور وهي النـاقة المجـزورة أي المنحورة. وجـزر الناقة: نحرها وقطعها (لسان).
(٤) غباً: عاقبة. البَطَر: الطغيان عند النعمة.

٣٤ ثم اقتدوا بالألى كـانوا لَكُمْ غـرراً
ولـيس مـن أمـةٍ إلا لـهـا غُـرَرُ[١]
٣٥ حتى تكـونـوا على منهـاجِ أوَّلِكُمْ
وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا[٢]
٣٦ مـالي أرى الناس والـدنيـا مُـوَلِّيَـةً
وكـل حبـل عليهـا سـوف يَنْبَتِـرُ[٣]
٣٧ لا يشعـرون بما في دينهم نقصـوا
- جهـلاً - وإن نقصت دُنياهُمُ شـعـروا

---

(١) غُرَر: جمع غُرّة: وغرة الشيء أوله وأكرمه. وغرة الإسلام أوله وغرة كل شيء أوله (لسان).
(٢) المنهاج: المنهج والمنهاج: السبيل والطريق.
(٣) ينبتر: ينقطع.

مراجع التحقيق

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ الأعلام لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، لبنان بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤.

٣ ــ البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير. منشورات مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٣ ـ ١٤٠٣ هـ.

٤ ــ البدر الطالع: للشوكاني. دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

٥ ــ تاريخ الخلفاء: للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمٰن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دون تاريخ. ودون كتابة دار النشر.

٦ ــ تقريب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف. نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دار المعرفة بيروت.

٧ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

٨ ــ الدارس في تاريخ المدارس: للنعيمي. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨.

٩ ــ الدرر الكامنة: لابن حجر العسقلاني. دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

١٠ ــ الزهد: للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١٩٨٣.

١١ ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز: للآجري. تحقيق د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان، الرياض، ١٣٩٩ هـ.

١٢ ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز: لابن الحكم. تحقيق أحمد عبيد، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٥٤ ـ ١٣٧٣ هـ.

١٣ ــ سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز: لابن الجوزي. دراسة وتحقيق د. السيد الجميلي. دار ومكتبة الهلال، ط. ١٩٨٥ م.

١٤ ــ شذرات الذهب: للحنبلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

١٥ ــ صورة مخطوطة عمر بن عبدالعزيز: للآجري. الظاهرية في دمشق رقم ٤٩، مجاميع ٣٠.

١٦ ــ العقد الفريد: لابن عبد ربه. تحقيق د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

١٧ ــ فهرس الفهارس: للكتاني. دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون تاريخ.

١٨ ــ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: عبدالرحمٰن الجزيري. دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٦ م.

١٩ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، محمد شرف الدين يلتكاي ورفعت بلجة كاسكي، تركيا، وكالة المجاريف سنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٣. ودار الفكر ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢.

٢٠ ــ لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، القاهرة. تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دون تاريخ.

٢١ ـ لسان العرب: لابن منظور. دار صادر، بيروت، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٢٢ ـ محيط المحيط: لبطرس البستاني. مطابع مؤسسة جواد للطباعة سنة ١٩٧٩، لبنان.

٢٣ ـ مختصر تاريخ دمشق: لابن عساكر. تحقيق سكينة الشهابي. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.

٢٤ ـ معجم الأدباء: ياقوت الحموي. دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٢٥ ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٩٧٥.

٢٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، لبنان، ١٩٤٥ ـ ١٣٦٤ هـ.

٢٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت، ١٩٧٧ ـ ١٣٩٧ هـ.

فهرس الأعلام

إبراهيم بن أبي عبلة: ٥٠.
إبراهيم بن داود العطار: ١٣.
أحمد بن حنبل: ١٠، ١٧، ٣٦، ٣٩، ٦٠، ٦٢، ٧١، ٧٧.
أحمد بن زهير بن أبي خيثمة: ٣٤.
أحمد بن عبدالله (أبو نعيم الحافظ): ٣١، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٥٨، ٦٨، ٧٠، ٧٢.
أسامة بن زيد: ٨٠.
ابن أبي الحكم: ٣٥.
ابن أبي خيثمة: ٣٥.
ابن أبي الدنيا: ٤٦، ٥٠، ٦٨، ٦٩، ٧٨.
ابن أبي شيبة: ٧٤.
ابن تيمية: ١٤، ١٩.
ابن الجلاء: ٦٤.
ابن الجوزي: ٧٥، ٨٨، ٨٩، ٩٢.
ابن حجر العسقلاني: ١٣.

ابن الخباز: ١٣.
ابن سعد: ٣٥.
ابن عباس: ٣٥.
ابن المؤدب: ٧٢.
ابن المبارك (عبدالله بن المبارك بن واضح): ٤٠.
ابن النقيب: ١٣.
أبو بكر الآجري: ٤٩.
أبو بكر الصديق: ٣٥.
أبو تراب النخشبي: ٦٤.
أبو جعفر علي الباقر: ٤٤، ٤٥.
أبو الحكم البجلي: ٥٥.
أبو حنيفة: ٣٦.
أبو عبدالله القضاعي: ٧٤.
أبو الفتح الميدومي: ١٣.
أبو قلابة الجرمي: ٥٣.
أبو هريرة: ٣٥.
أم سلمة: ٣٥.
الجاحظ: ٣٢.
جويرية بن أسماء: ٥٤، ٥٥، ٦٢.
خالد بن صفوان: ٨٩، ٩٠، ٩١.
الحسن البصري: ٣٨.
حفص بن عمر بن عبدالعزيز: ٣٧.

الحنبلي (صاحب شذرات الذهب): ١٢، ١٥.
خير الجعفي: ٥٢.
الدارقطني: ٣٤.
الدورقي: ٤٢، ٤٧، ٧٦.
الربيع بن زياد: ٣٨.
الربيع بن سبرة: ٦٣، ٧٨.
الزبير بن بكار: ٧٢.
الزهري: ٥٣.
زياد بن حسان: ٦٩.
زيد بن ثابت: ٣٥.
سابق البربري: ٢٢، ٩٢.
سعيد بن عامر: ٦٨.
سعيد بن المسيب: ٣٥.
سفيان بن عيينة: ٣٩.
سفيان الثوري: ٤٥.
سليمان بن حبيب المحاربي: ٦٣، ٦٨.
سليمان بن عبدالملك: ٣٢، ٤١، ٤٩، ٥٩.
سليمان بن يسار: ٣٤، ٣٥، ٣٦.
سهل بن عبدالعزيز: ٩، ٧٧.
سيار بن الحكم: ٧٤.
شهاب الدين أحمد بن أبي أحمد رجب (أبو المؤلف): ١٢.
عاصم بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن مروان: ٣٢.

عبدالحميد بن عبدالرحمن: ٧٠.
عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (مؤلف الكتاب): ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨.
عبدالعزيز بن عبدالله المنيع: ٥.
عبدالله بن أبي زكريا الخزاعي: ٥٢.
عبدالله بن بطة: ٦٦.
عبدالله بن طاهر: ٣٢.
عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز: ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.
عثمان بن يوسف: ١٣.
عدي بن أرطاة: ٨١.
عروة بن الزبير: ٤٤.
علي بن أبي طالب: ٣٨.
علي بن أحمد الجرجرائي: ٧٥.
علي بن خالد بن يزيد: ٧٢.
علي بن مسلم بن سعيد الطوسي: ٦٨.
عمر بن عبدالعزيز: ٧، ٨، ٩، ٢٢، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٦٩،

٧٠، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣.
عمرو بن مهاجر: ٧٩.
الغزالي: ٣٨.
القاسم بن سلام: ٣٢.
محمد بن أبان: ٥٢.
محمد بن القاسم الثقفي: ٨.
محمد بن القلانسي: ١٣.
محمد بن محمد أبو الحسين الحنبلي الفراء: ١٨.
مزاحم: ٩، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٧١، ٧٨.
مسلمة بن عبدالملك: ٥٩.
معاوية بن أبي سفيان: ٣٥، ٣٨.
معاوية بن هشام بن عبدالملك: ٤١.
المعتضد العباسي: ٤٦.
المكتفي العباسي: ٤٦.
مكحول الشامي: ٥٣، ٥٤.
منجاب بن الحارث: ٧٤.
ميمون بن مهران: ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٥٣، ٦٢، ٦٦، ٧٧.
ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين): ٣٤، ٣٥.
النعيمي (صاحب كتاب الدارس): ١٢.
النووي: ١٣.

هشام بن عبدالملك: ٨٩.
ولي الدين العراقي: ١٤.
يحيى بن عبدالملك بن أبي عتبة: ٧٤.
يزيد بن عبدالملك: ٥٣، ٥٩.
يعقوب بن إبراهيم الدورقي: ٣٦.
يعقوب بن سفيان: ٥٤.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر	٥
مقدمة	٧
التعريف بالمؤلف	١١
وصف المخطوطة	٢١
صور من المخطوطة	٢٣
ـــ سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـــ	٥
مقدمة المؤلف	٢٧
الباب الأول: في ذكر عبادته واجتهاده وتهجده	٣١
الباب الثاني: في ذكر علمه وفقهه وفهمه	٣٤
الباب الثالث: في ذكر زهده في الدنيا	٤٠
الباب الرابع: في ذكر حلمه وكظمه الغيظ	٤٦
الباب الخامس: في ذكر كلامه في قصر الأمل	٤٩
الباب السادس: في ذكر صلابته في الدين وقوته في تنفيذ الحق	٥٢

الموضوع	الصفحة

الباب السابع: في ذكر هوان نفسه عليه في ذات الله ... ٦٢
الباب الثامن: في ذكر شدة حذره من الظلم وتنزهه من ذلك ٦٦
الباب التاسع: في ذكر مرضه ووفاته ٦٨
الباب العاشر: في ذكر سنه ومقدار عمره ٧٤
الباب الحادي عشر: في ثناء العلماء عليه ومدحهم له.. ٧٦
فصل: نبذة مختصرة من سيرة والد عبدالملك ٧٩
اخر خطبة خطبها على المنبر ٨٦
مع سابق البربري ٩٢
مراجع التحقيق ١٠١
فهرس الأعلام ١٠٥